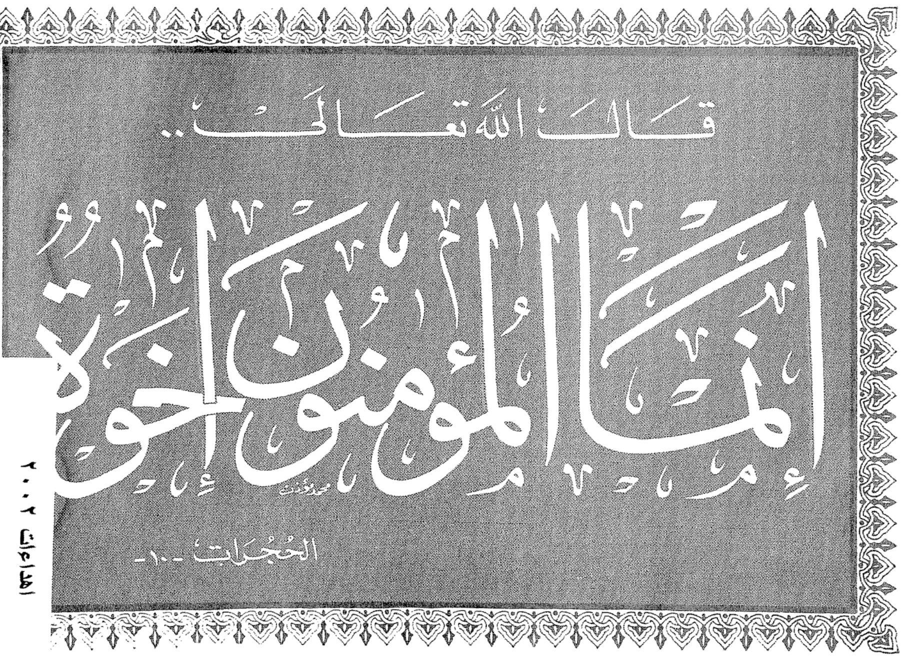


إسلامية ثقافية شهرية
السنة الثامنة عشرة ● العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد :

رسالة الصيام والزكاة

ومجلة براعم الايمان


قال الله تعالى..
إنما المؤمنون إخوة
الحجرات - ١٠ -



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٣ ● رمضان ١٤٠٢هـ ● يوليو ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم . ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

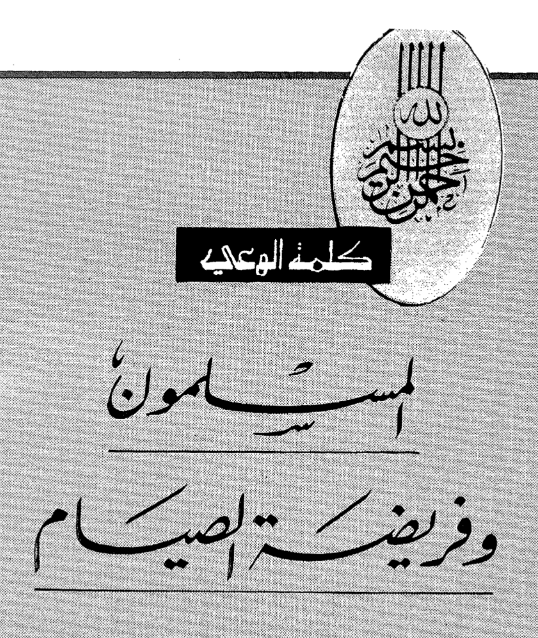
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام فقال تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**).
وعده رسول الاسلام محمد (ﷺ) من الأركان الخمسة التي يقوم الاسلام عليها فقال : (بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا أله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)
والمسلمون أمام فريضة الصيام أنواع :

منهم من تجري كلمة الاسلام على ألسنتهم دون أن يكون لها أثر في قلوبهم ، فيلقون أسماعهم لكل هاجس غريب عن الاسلام ، مخالف لتعاليمه .. وهؤلاء يرون الصيام حرمانا لا فائدة فيه ، وتقليدا دينياً لا مسوغ له مع تقدم الحضارة وتطور الفكر الانساني الذي يأبى قيود الصيام ، ومن ثم فهم يفطرون في رمضان ، ويسخرون بعقول الصائمين وتفكيرهم » ويوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب لن يجديهم أنهم تسموا بأسماء المسلمين ، ودرجوا معهم في تعداد المواليد .

ومنهم من يؤمنون بفريضة الصيام ، ولكن تخور عزائمهم إزاء الجوع والعطش في نهار رمضان فيفطرون مستخفين من الناس ، ولا يستخفون من الله وهو معهم .. ونذكر هؤلاء بأن من يضعف عن تحمل تبعات الايمان ، وينهزم أمام صبر ساعات في نهار رمضان ، يكون أشد ضعفا ، وأكبر هزيمة أمام تحمل الكفاح في مختلف شئون الحياة .. ذلك أن المنهزم في ميدان صغير ليس أهلا لأن يحرز النصر في ميدان كبير ، ومن ضعف عن تحمل الجوع والعطش ساعات ينطلق بعدها الى تناول ما أحل الله من الطيبات ، لا يمكن أن يكون انسانا يرجى في معارك الحق والشرف ، أو يعتمد عليه في مواطن الشدة والبأس .

ومنهم من يرون شهر الصيام موسما سنويا للموائد الزاخرة بألوان الطعام في كل ليلة ، وللسهر واللهو أكثر الليل ، والقعود والتراخي والكسل في النهار الى قبيل غروب الشمس ، وهؤلاء يخطئون الطريق في تقدير شهر الصيام ، ويفوتهم الفهم الصحيح لما خصه الله به ، فيمضى عليهم الشهر وقد زودوا أنفسهم بالخطايا !!

أما المؤمنون الصادقو الايمان ، فيدركون أن الله تعالى جعل شهر رمضان فترة تدريبية تجدد في نفوس المسلمين الصبر على المكاره ، والطاعة الخالصة لله ، والنظام في شئون الحياة ، والعطف على الفقراء والبائسين .. كما تعبىء فيهم القوى النفسية والخلقية ليسيروا في الحياة أعزة لا يقبلون الذل ، وكراما لا يرضون المهانة ، وأباة يرفضون الضيم ، فتصلح بهم الأوضاع ، ويتحقق بجهادهم النصر ، وتسعد بسلوكهم المجتمعات .. وأولئك هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان ، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى والسلام ، وأولئك هم الذين فهموا من كتاب الله وسنة رسوله ما سدد خطاهم على طريق الحق ، فانتهزوا فرصة حلول شهر رمضان ، وكانوا صائمين لنهاره ، قائمين لليله ، مكثرين فيه من الدعاء ، ومن البر والعطاء . وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتحدث عن أبواب الخير المفتحة للصائمين في رمضان ، التي تسعد من يغتنم ما فيها . ومن الغيض في هذا المجال أنه (ﷺ) خطب صحابته يوما وكان مما قال : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ،من أدى فيه خصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الخير ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .. قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة

ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله الا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما ، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار »

وفي حديث آخر يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل رحمته ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى الى تسابقكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

هذا هو شهر رمضان كما بينه رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، يمد الله فيه يده للمؤمنين ، ويبسط رحمته على المستجيبين ، ويمنح غفرانه للمذنبين التائبين فلنعد أنفسنا لاغتنام فضله وخيره ولنستجب لأمر الله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) .

ولندائه جل شأنه في قوله (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



نزل القرآن مفرقا ، وفي أوقات متباعدة ، وتاريخه هو تاريخ الرسالة المحمدية ، ومدته هي مدتها أو قريبا من ذلك .

وقد صرح القرآن بأن نزوله كان في رمضان ، وفي ليلة القدر منه على الخصوص كما قال تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة/ ١٨٥ .

وقال : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر)** القدر/ ١ .

وأكد ذلك بالنسبة الى الليلة المذكورة قوله في الآية الأخرى · **(إنا أنزلناه في ليلة مباركة)** الدخان/ ٣ .

ورمضان مختص بانزال الكتب السماوية السابقة ، فقد جاء في مسند الامام أحمد من حديث وائلة بن الاسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله تعالى القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

ومعنى إنزاله لاربع وعشرين خلت أنه نزل بعد تمام أربع وعشرين ليلة فيكون انزاله في ليلة خمس وعشرين .

وهذه الكتب المنزلة ما عدا القرآن نزل كل منها على الرسول الذي نزل عليه جملة واحدة .

وأما القرآن المجيد فمعلوم أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا من حين رسالته الى قرب وفاته ، بيد أن ظاهر هذه الآيات يدل على أنه نزل كله جملة واحدة في ليلة من ليالي شهر رمضان ، وهو أيضا ظاهر حديث وائلة السابق .

وهذا يثير في النفس تساؤلا :

كيف يتسنى القول بنزول القرآن كله جملة واحدة مع ما هو معلوم يقينا من أنه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفرقا في اثنتين وعشـرين سنة وخمسـة أشهر تقريبا ، حتى أن الكافرين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في سورة الفـرقان/ ٣٢ : (**وقـال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**) .

وقد يجيب بعض الناس عن هذا التساؤل فيقول : ان الذي أنزل في ليلة القدر انما هو أول القرآن نزولا وهو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ فيكون قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**) معناه شهر رمضان الذي ابتدىء فيه إنزال القرآن ، وقوله : (**إنا أنزلناه**) معناه إنا ابتدأنا إنزاله .

وهذا الجواب ليس بسديد لأنه فيه حمل الآيات على غير ظاهرها والجواب السديد هو ما أجاب به ابن عباس في آثار صحيحة مروية عنه نكتفي منها بما يلي :

اولا : أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي » صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله « فصل القرآن من الذكر » أن الملائكة كتبوا القرآن المجيد نقلا من اللوح المحفوظ ثم أنزلوا ما كتبوه الى مكان في السماء الدنيا يسمى بيت العزة .

ثانيا : أخرج النسائي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعـد في عشرين سنة ». وقوله « في عشرين سنة » فيه ايجاز بالاقتصار عـلى ذكر العقدين الكاملين وحذف الكسر وهو سنتان وخمسة أشهر تقريبا .

ثالثا : أخرج ابن مردويه والبيهقي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله عطيـة بن الاسود ، فقال : وقع في قلبي الشك قول الله تعالى : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** » وقوله : « **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** » **وقوله** :« **إنا أنزلنـاه في ليلة القدر** » وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيـع ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : « إنه انزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام » ، وقوله : « وقع في قلبي الشك » لا يقصد به حقيقة الشك ، فان القرآن لا يشك فيه مسلم انما مقصوده أن هذا التعارض الذي يبدو لأول وهلة يثير في النفس حيرة في الفهم مع إيمان بأن القرآن حق لا ريب فيه . وقوله : « أنزل على

مواقع النجوم » معناه أنزل مفرقا مثل مساقط النجوم فان النجوم تسقط أمام الانظار في أوقات مختلفة يتبع بعضها بعضا .

وقوله : « رسلا » بكسر الراء ـ معناه : « تؤدة » أي في زمن طويل .

ولا شك أن نزول القرآن من اللوح المحفوظ الى موضع مخصوص في السماء الدنيا يسمى بيت العزة ـ لا يقوله ابن عباس رضي الله عنهما اجتهادا ، ولا تخمينا فانه من علم الغيب الذي لا يطلع الله عليه الا رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا النزول الغيبي إن كان مما يحمل على القول به هو إبقاء الآيات الواردة في نزول القرآن على ظاهرها من نزوله جملة واحدة ، فانه لا يعارض نزوله الحسي في التاريخ المذكور ، أي ابتداء نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقا ، بل ان الرواية نفسها تشير الى ذلك وتبين المراد به ، فهما اذن نزولان ، غيبي وحسي وتاريخهما واحد ويتساءل العلامة الزركشي في « البرهان في علوم القرآن » عن السر في هذا النزول ، ويجيب عن ذلك بقوله : « فان قيل : ما السر في انزاله جملة من السماء ؟ قيل فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه وذلك باعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قربناه اليهم لننزله عليهم » .

ويقرر النيسابوري« أن نزول القرآن بحسب الوقائع والحوادث أوفق في باب التكاليف والاستبصار » ويدلل القسطلاني على هذه الحكمة من نزول القرآن مفرقا بقوله : « إن الوحي في الزمن الأخير من الحياة النبوية كان أكثر نزولا لأن الوفود بعد فتح مكة كثروا ، وكثر سؤالهم عن الأحكام » .

وقد بين الله تعالى حكمة نزول القرآن مفرقا لا جملة واحدة في موضعين في الكتاب العزيز :

الموضع الاول : قوله تعالى في سورة الاسراء/ ١٠٦

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .

الموضع الثاني : قوله تعالى في سورة الفرقان/ ٣٢ و ٣٣

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) .

وصدر آية الاسراء : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**) يرشد الى حكمة من حكم التفرقة وهي أن يتيسر على الناس حفظه وفهمه ، وتخليهم عن عقائدهم وأعمالهم الفاسدة بالتدريج وتحليهم بالعقائد والاعمال الصالحة بالتدريج أيضا وأخرها « ونزلناه تنزيلا » يرشد الى حكمة أخرى من حكم التفرقة وهى الدلالة على أن القرآن منزل

من الله تعالى وليس من قول البشر ، فانه مع نزوله مفرقا حسب الحوادث واعجازه بهذا الترتيب الزمني كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الكتبة كلما نزلت آية أن يضعوها بأمر الله تعالى بعد آية كذا في سورة كذا ، فكان ترتيبه في التلاوة غير ترتيبه في النزول وكان مع ذلك متناسبا أعظم التناسب ، بل معجزا للخلق جميعا أن يأتوا بمثله ، فهذا إعجاز متكرر مرتين :

اولاهما : بترتيبه النزولي الزمني المتسق مع الوقائع .

وثانيتها : بترتيبه في التلاوة آيات وسورا طوالا وقصارا وأوساطا .

والآية الاولى من آيتي « الفرقان » : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**) . ترشد على حكمة ثالثة وهي « تثبت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بتجدُد الوحي ونزول الملك ، وهو أمر يدعو الى طمأنينة القلب وانشراح الصدر مع ما في ذلك من تيسر الحفظ وتكرار انتصاره على الأعداء بتكرار عجزهم عن الاتيان بمثله كلما تحداهم .

والآية الكريمة الثانية من آيتي الفرقان : (**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) ترشد الى حكمة رابعة وهي مسايرة الحوادث باجابة السائلين ، وبيان حكم الله تعالى في الوقائع المتجددة وتوجيه أنظار المسلمين الى ما يقعون فيه من أخطاء أولا فأول ، وهتك أستار المنافقين والمشككين كلما هموا بأمر فيه كيد للاسلام والمسلمين .

وكان أول ما نزل هو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك**) كما تفيده السنة الصحيحة ، ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية ،حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنيفغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق** . اقرأ وربك الاكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... الحديث » .

لكن جاء في صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » وهذا محمول عند العلماء على ما بعد فترة الوحي

التي تلت النزول الأول .

وإذا كان أول ما نزل هو قوله تعالى :« **اقرأ باسم ربك** » كما ثبت لدينا بالدليل القاطع فان آخرها ما نزل على الراجح والمعتمد هو قوله تعالى : (**واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله**) البقرة/ ٢٨١ أخرجه النسائي وابن مردويه والطبري عن ابن عباس .

وهذا يرشدنا الى أن ثمرة المعرفة هي التقوى التي تعني حسن السلوك ومحاسبة النفس . فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، ولكنه وسيلة الى تزكية النفس ونفع العباد ، حتى يكون الانسان خليقا بهذا المنصب الرفيع ، الذي أهل له منذ وجود أول فرد منه ، وهو خلافة الله في أرضه ، المقتضية لاعلاء منار شريعته الكفيلة بسعادة الدنيا والآخرة .

وقد نزل القرآن بأرقى صور الوحي ، إذ ورد في القرآن أن الله تعالى يكلم الناس في صور ثلاث . قال تعالى :

(**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء**) الشورى/ ٥١ .

فأول صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان ، هي الايحاء ، ومعناه الاشارة السريعة ، تلقى في روع الانسان ، وفي هذه الحالة يتكلم الأنبياء وغيرهم من المتقين بنفث من روح القدس ، فيلقي في نفس الموحى اليه .. فكرة تشع في روعه بنور خاطف كأنه البرق ، ولا يكون الايحاء في هذه الصورة مصاغا بكلام ، بل يكون خطرة تخطر بالبال لا يسبقها تفكير وتجلي بها شكوك .

وثاني صورة لكلام الله سبحانه وتعالى للانسان : **هي** الكلام من وراء حجاب .

وثالث صورة لكلام الله للانسان : الحالة التي يرسل الله سبحانه وتعالى بها كلاما منه يحمله ملك رسول الى الموحى اليه .

وهذه الصورة هي أعلى مراتب التنزيل حيث اختص الله تعالى بها أنبياءه ورسله دون سواهم لتبليغ رسالاته الى الناس ، وأما الصورتان الأوليان : الايحاء والكلام من وراء حجاب ، فتقل مرتبتهما عن الصورة الثالثة ، ويشترك فيها الأنبياء ومن عداهم ممن سلكوا نهجهم من عباد الله المتقين . وأما الرسل فقد أمرهم الله بأن يبلغوا رسالاته الى الناس وينذروهم بها ، وذلك لتجنيبهم مواطن الضلال ، وهدايتهم الى الصراط المستقيم المفضي الى نجاتهم وسعادتهم . ورسالة هذه غايتها تكون أشد شأنا مما عداها ويكلم الله فيها رسوله بأعلى صورة الكلام مرتبة ، فلا تكون فكرة عابرة ، ولا كلا ما يسمعه الرسول وينطق به بنفث من روح القدس ، بل يرسل الله تعالى كلاما يحمله روح القدس الى الرسول ويسمى

كلام الله هذا الوحي المتلو ، وبه نزل القرآن كله بدون استثناء . فالقرآن وحي متلو على النبي نزل به الروح الأمين على قلب النبي ، بكلام عربي مبين وبأرقى صور الوحي .

وهناك صور أخرى للوحي فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى قبل نزول القرآن الرؤيا الصادقة : « **إن أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان رسول الله لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح** » .

ويتبع هذه الصورة من الوحي ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتا خفية ، وهذه الصورة يعبر عنها بالوحي الخفي يوحي بها الله الى الرسول .

وتختلف حالة الانسان أثناء تلقي الوحي باختلاف صوره ، ففي القسمين الاولين تعتري الانسان حالة غير عادية ، سواء أتاه الايحاء في وقت النوم ، أو اليقظة ولا يحدث تغيير بين في الموحى اليه ، وأما في الصورة الثالثة وهي التي اختص الله بها أنبياءه ورسله ، فتتغير حالة الموحى اليه تغييرا كبيرا ، فينتقل معها من عالم الى آخر ، ولا يزال الموحى اليه يقظا تمام اليقظة غير مصروع ولا غائب عن وعيه ، شاعرا بوطأة الوحي ، ويستطيع من حوله من الناس أن يشاهدوا هذا التغير المحسوس أثناء الوحي . عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال الرسول : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

وبهاتين الحالتين نزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ففي كلتيهما كان الرسول يرى جبريل ، وفي كلتيهما كان جبريل ينقل كلام الله فيفصم عنه فيعي ما يقول ، ولا فرق بين الحالتين سوى أنه في أحدهما كان جبريل يظهر على صورة رجل ينقل كلام الله بصوت هادىء لين ، وأما في الحالة الثانية فكان الوحي يأتي كصلصلة الجرس ، أي أن جبريل كان ينقل كلام الله بصوت قوي شديد .

وسواء أظهر جبريل عليه السلام في صورة رجل أم لا ، وسواء أبلغت الرسالة في صوت هادىء لين أم في صوت قوي شديد . فانه لا ريب في أن الموحى به كان كلا ما من الله يحمله جبريل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن جميعه بهذه الصيغة منجما على الرسول بواسطة جبريل . وقد كان الرسول يتلقى التنزيل بصورتيه وهو جالس مع

أصحابه أحيانا ، ويستخلص من ذلك أن الرسول كان يرى جبريل ويسمع منه التنزيل .

وكان القرآن ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات واكثر واقل . وقد صح نزول عشر آيات في قصة الافك جملة . وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول جملة « غير أولى الضرر » وحدها وهي بعض آية .

والحكمة في نزول الآيات قليلة العدد على هذا النحو هي في أن يتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظها ومن تعليمها للناس ومن إملائها على كتابه ليدونوها .

ولنزول القرآن حسب الحوادث الجارية شواهد كثيرة وهي كل القرآن تقريبا فمن ذلك مثلا ما اتصل بعمر بن الخطاب ، وكان هو سببا في نزوله فقد روى عنه أنه قال : وافقت ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت الآية : (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة فقلت لهن : (**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن**) التحريم/ ٥ فنزلت كذلك .

وفي رواية أخرى أنه لما نزلت الآية : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/ ١٢ قال عمر بن الخطاب قلت أنا : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/ ١٤ فنزلت الآية كما نطق عمر : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

كانت الآيات التشريعية وهي آيات الاحكام تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في الغالب جوابا لحوادث في المجتمع الاسلامي ، وتعرف هذه الحوادث بأسباب النزول وقد اعتنى بها جماعة من المفسرين وألفوا فيها كتبا وجعلوها أساسا لفهم القرآن ، وأحيانا كانت تنزل الآيات جوابا عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين وقليلا ما كانت تنزل الأحكام مبتدأة .

ولنضرب أمثلة لكل من هذين القسمين :

١ ـ ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها قوما مسلمين مستضعفين ، فلما وصلها عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات جمال ومال ، فأعرض عنها خوفا من الله ثم أقبلت عليه تريد زواجه فقبل ووقف ذاك على اذن الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب اجازة ذلك النكاح فنزل قوله تعالى في سورة البقرة : (**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا**

المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة/ ٢٢١ .

٢ - ورد في القرآن أحكام كثيرة عقب أسئلة صدرت من المؤمنين أو من غيرهم من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢١٩ و ٢٢٠ .

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة/ ٢٢٢ .

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) البقرة/ ٢١٧ .

وفي سورة النساء :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) .

الى غير ذلك من الآيات .

أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فقليلة وقلما نرى حكما لم يذكر له المفسرون حادثا أنزل الحكم مرتبا عليه .

وكان من أعظم مقاصد القرآن أن شرع للناس ما ينظمون به أحوالهم المعاشية ويضبطون به أمور الحياة الدنيا من قوانين وأحكام صانت مصالح الفرد والجماعة وحمت حقوق الناس ، وكان رائدها العدالة الاجتماعية والحرص على المساواة بين عباد الله ، فانها لم تقم للانسان ميزانا الا ميزان التقوى أي الاستقامة :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/ ١٣ .

كما وضع القرآن دستور الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن والمعاملة الطيبة للناس : **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)** النحل/ ٩٠ و ٩١ .

إن القرآن يهدي الناس من الضلال ، وينير لهم سبيل الحياة الراضية المرضية في الدنيا



للمهندس / محمد عبدالقادر الفقي

لا مراء في اننا نعيش في عالم يتكون الى درجة كبيرة من المعادن .
ومنذ غابر الازمنة ، في عصور ما قبل التاريخ ، منذ ان كان اسلافنا القدامى يبحثون عن حجر الصوان لكي يستخدموه في صناعة الأدوات البدائية الى زماننا الحالي ، الذي استطاع الانسان المعاصر فيه ان يجتاز طبقات الغلاف الجوي للأرض ، وان يصل بسفنه الفضائية الى الكواكب المجاورة ، كانت المعادن ولا تزال ، تلعب دورا بارزا ورئيسيا في التطور البشري .
لا مراء في هذا ولا جدال اذا قلنا ان الانسان في العصر الحديث قد اصبح يعتمد اعتمادا كبيرا على المواد والمنتجات المعدنية التي تتغلغل في كل شيء وتدخل في كل الصناعات ، بحيث يصبح من العسير ان نتصور عالمنا بدونها ، وذلك لان المعادن تمدنا بالمواد الضرورية لكل الاغراض الصناعية والتجارية والمنزلية وغيرها ، فهي تدخل في انشاءات المباني وفي مصادر الاضاءة وفي الآلات المحركة ووسائل النقل

والمواصلات المستخدمة برا وبحرا وجوا ، كما تدخل في صناعة الأسمدة اللازمة للزراعة بالاضافة الى قيمتها الكبرى في صناعة الالات والادوات والاجهزة والمعدات التي تستعمل على نطاق واسع في شتى ميادين السلم وفي جميع مجالات الحرب .

○ المعادن بين اللغة والعلم :

جاء في المعاجم : « عدنت » البلد : اي توطنته وعدنت الابل بمكان كذا اي لزمته فلم تبرح ، ومنه « جنات عدن » اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن ـ بكسر الدال ـ وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لان اهله يقيمون فيه ولا يتحولون عنه شتاء ولا صيفا ، ومركز كل شيء معدنه ، والمكان الذي يستعدن منه معدن والجمع معادن والعرب تقول : فلان معدن الخير والكرم .

وفي العلم يعرف المعدن بانه مادة نتجت بفعل عوامل طبيعية اما من اتاح لهذه العوامل الطبيعية ان تمارس تأثيرها فان العلم يقف عاجزا امام ذلك ويترك ذلك لمجرد الصدفة الطبيعية البحتة ، ولكن العالم المؤمن بالله يقف امام ذلك خاشعا متأملا لعظمة الله الذي ابدع كل شيء والذي قدر كل الامور بقدرته وهيأ كل الظروف للحياة بكلمته ، فهو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وصدق تعالى حين يقول : (**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**) ـ سورة الانبياء / الآية ١٦ . (**هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون**) النحل/ ١٠ ـ ١٣ .

وتتميز مادة المعدن بالتجانس والتركيب الكيميائي الثابت ، والمعادن مواد غير عضوية بمعنى انها ليست ذات اصل حيواني او نباتي لانها تتركب من عناصر او مركبات كيميائية ، ومادة المعدن قد تتكون من عنصر كيميائي واحد ـ كالذهب والفضة والنحاس ـ او تتكون من عدة عناصر متحدة معا كالجبس والتلك والحجر الجيري ، ولكل معدن خواص طبيعية تفرقه عن غيره وغالبا ما يكون ذا شكل بلوري خاص به ، واحيانا يشترك اكثر من معدن في خاصية واحدة كاللون والبريق والتشقق ولكن يمكن التفريق بين الأنواع المختلفة للمعادن بمعرفة التركيب الكيميائي والشكل البلوري لكل معدن على حدة ، ولا يمكن ان يتأتى ذلك إلا لخبير او مختص ، والمعادن هي الوحدات التي تتكون منها الصخور المختلفة المكونة للارض ، وكل صخر يتكون من معدنين او اكثر فعلى سبيل المثال يعد صخر الجرانيت المعروف والشائع استخدامه كأحد احجار الزينة ، مكونا من ثلاثة معادن على الاقل هي الكوارتز والفلسبار والميكا ، وقد يتكون الصخر من معدن

واحد فقط مثل صخر الهالايت المعروف باسم الملح الصخري او ملح الطعام ، والذي يستخدمه الانسان في اغراض الطبخ وحفظ المواد الغذائية وفي بعض الاغراض الصناعية الاخرى .

ويمكن تقسيم المعادن الى نوعين رئيسيين هما :

١ ـ مجموعة معادن السيلكات والمسماة بالمعادن المكونة للصخور وهي اكثر المجموعات المعدنية انتشارا اذ تكون اكثر من ٩٨,٥٪ من القشرة الارضية .
٢ ـ مجموعات المعادن الاقتصادية والمسماة بالمعادن المكونة للخامات المعدنية ، وهي تشمل المعادن التي يستخلص منها الحديد والذهب والفضة والنحاس والألومنيوم والرصاص والزنك وغير ذلك .

ولما كنا بصدد دراسة المعادن التي ورد ذكرها في القرآن لا بد من الاشارة اولا الى الصخور والحجارة وتعريف كل مصطلح منهما .

○ الصخور بين اللغة والعلم والقرآن :

ان المعادن التي عرفها الانسان على سطح الأرض كثيرة حتى ليتجاوز عددها الالفين وبتجمع تلك المعادن مع بعضها تتكون الصخور ، والصخور في اللغة هي الحجارة العظام ، وهي ايضا الصخر بسكون الخاء وفتحها الواحدة منها تسمى صخرة .ـ

ويعرف الصخر علميا بانه كل مادة طبيعية تتكون من جمع من جسيمات معدنية سائبة او ملتحمة ، وتكون الصخور جزءا هاما من قشرة الارض ، وتنقسم الصخور الى ثلاثة انواع رئيسية هي :

١ ـ الصخور النارية :

وهي التي نتجت عن تبريد المواد المنصهرة الموجودة تحت أو داخل القشرة الارضية وتعتبر الصخور النارية المصدر الرئيسي لاغلب المعادن والصخور الاخرى ، ومن امثلتها الجرانيت والبازلت .

٢ ـ الصخور الرسوبية أو الصخور الطبقية :

وهي التي ترسبت نتيجة لتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية المختلفة حيث تتهشم الانواع الاخرى من الصخور بفعل الرياح والامطار والسيول والانهار وامواج البحر .. وتتفتت ثم تنقلها بعد ذلك الرياح لترسبها على شكل حبيبات صلبة او تنقلها مياه الامطار والانهار على شكل محاليل لترسبها اثناء سريانها على شكل طبقات ويتراكم معظمها في البحر على هيئة مواد مفككة غير متماسكة ، ثم تتعرض بعد ذلك لعوامل مختلفة تجعلها اكثر ترابطا واكثر صلابة واندماجا ، ومن اهم هذه العوامل الضغوط التي تقع على هذه الطبقات نتيجة لتراكم الصخور ، او نتيجة لتراكم المواد التي تفرزها بعض الكائنات الحية التي تعيش في البحار .ـ

ويكون الطين الصفحي والصلصال ما يعادل ٨٠٪ من جميع الصخور الرسوبية ،

اما الاحجار الرملية فهي تكون حوالي ١٥٪ منها ، والنسبة الباقية تمثل الاحجار الجيرية وباقي الانواع الاخرى للرسوبيات .
وتكمن اهمية الصخور الرسوبية في انها تعد البيئة الصالحة للزراعة ، كما انها تعد المكان المناسب الذي يمكن ان تتواجد فيه الثروات الطبيعية الهامة كالذهب والفضة والبترول وغير ذلك .
ويشير القرآن الكريم الى ذلك حين يبين ان الله هو الذي ينزل المطر من السحاب فتسيل به الأنهار والجداول ، كل بالمقدار الذي قدره الله تعالى لها لكي يكفي لانبات الزرع واثمار الشجر ، وعلى قدر الماء تتفتح الاودية كما يبين القرآن ان المعادن التي يوقد عليها ابتغاء حلية او متاع لها زبد كزبد الماء قال تعالى : (**انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**) **الرعد / ١٧** .
واذا تأملت كلمة « رابيا » في الآية الكريمة لادركت انها تعني هنا تراكم الزبد وتراكبه طبقة فوق طبقة في نهاية المطاف ، حينما يلقي السيل بحمله ، ونهاية المطاف قد تكون مصبات الانهار او تكون على طول الطريق ، حيث يعجز السيل عن حمل ما علق به ، اذ ان هذه المقدرة تتناسب مع سرعة المياه ، والسرعة تتعلق بالميل او الانحدار وكلما ازدادت سرعة المياه كلما ازداد مقدار ما تحمله معها ، وكلما قلت السرعة كلما زاد معدل ترسيب المواد العالقة بالمياه ، ولذلك فانه حينما تصطدم مياه الانهار ـ عند المصبات ـ بمياه البحر فان كل المواد التي تحملها المياه معها تترسب على القاع ، ومع مرور آلاف السنين تتراكم طبقة الرسوبيات ويظهر ما يعرف باسم دلتا النهر ، حيث تزحف الشواطىء على البحر . كل هذا نستشفه من قوله تعالى :
(**فاحتمل السيل زبدا رابيا**) ولتأكيد ذلك نذكر ان « الربا » في اللغة يعني الزيادة ، تقول ربا الشيء اذا زاد ، والرابية ما ارتفع من الارض .
كذلك يقارن القرآن الكريم بين شبيهين بالحق وهما الماء الصافي والمعدن الصافي ، حيث ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل وهما زبد الماء وزبد المعادن المنصهرة ، فزبد الماء يتشابه مع الزبد الذي ينتج من صهر المعادن التي يوقد الناس عليها في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين صنع حلية او متاع ينتفع به كالاواني ، حيث يطفو كل منهما فوق مصدره فاما الزبد الناشيء عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به غير مهتم به لحقارته ، واما ما ينفع الناس كالماء الصافي وخلاصة المعدن فيبقى في الأرض ، وكذلك يضرب الله الامثال لايضاح الشبهات وليعرف الناس الحق من الباطل .

٣ ـ الصخور المتحولة :

وهي تنشأ نتيجة لتحول الصخور الرسوبية او النارية نتيجة لتعرضها لدرجات

حرارة عالية او ضغوط عظيمة ، او الاثنين معا ، فاكتسبت من جراء ذلك خواص جديدة ميزتها عن غيرها فعلى سبيل المثال تتحول الاحجار الجيرية النقية الى رخام كما تتحول الصخور الطينية الى صخور صلبة دقيقة الحبيبات تعرف باسم الهورنفلنس .

ولم ترد لفظة « المعدن » في القرآن بل وردت لفظة « الصخرة » و« الصخر » كما وردت لفظة « الحجر » و« الحجارة » اما لفظة الصخر فهي لم ترد الا مرة واحدة حين تحدث القرآن عن قبيلة ثمود التي كانت تقيم بالحجر بين الشام والحجاز ، وحيث قاموا بقطع الصخر ونحته حيث صنعوا لأنفسهم بيوتا منه بالوادي الذي كانوا يقيمون فيه . قال تعالى : (**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**) الفجر / ٨ .

اما لفظة (الصخرة) فقد وردت مرتين :

الاولى في الحوار الذي دار بين موسى بن عمران وفتاه « خادمه » وذلك في قوله تعالى :

(**قال أرأيت اذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**) الكهف/ ٦٣ .

والثانية : في الحوار الذي كان يعظ فيه لقمان ابنه :

(**يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦ .

والخردل نبات له حب اسود صغير جدا ، يضرب به العرب المثل في شدة الصغر .

وتعبر الآية السابقة عن خاصتين من اهم الخواص التي تتميز بها الصخور : ألا وهما المسامية والنفاذية :

١ ـ **المسامية** : وهي النسبة المئوية لحجم الفراغات او المسام الموجودة في الصخور بالنسبة الى حجمها الكلي ، وهذه الخاصية ذات اهمية كبرى في مجال البحث عن البترول في الطبقات الصخرية الرسوبية ، حيث تتجمع قطرات زيت البترول داخل هذه المسام ، كما ان هذه المسام ايضا تقدم المكان المناسب لتواجد المياه الجوفية في الارض .

٢ ـ **النفاذية** :

وهي مقدرة الطبقات الصخرية على امرار السوائل المختلفة في المسام المتصلة الموجودة داخل الصخر ، ولا يوجد بالضرورة علاقة بين النفاذية والمسامية حيث ان صخرا معينا قد يكون عالي المسامية ولكنه غير منفذ ، اذا لم يكن هناك ممرات موصلة بين المسام ، ويعود ذلك الى وجود المواد اللاصقة التي تربط حبيبات الصخر بعضها ببعض ، وتغلق الطريق امام السوائل والمواد الموجودة داخل الفراغات ، بحيث تمنعها من الخروج من الحيز الموجودة فيه ، وبمعنى اخر يمكن ان تعرف النفاذية بأنها مقياس السهولة التي يمكن ان تتدفق بها السوائل خلال

المسام والفراغات المتصلة الموجودة بين حبيبات الصخور .
واذا تأملنا الآية الكريمة السابقة لوجدنا انها تعبر عن هاتين الخاصيتين في بلاغة فائقة واسلوب موجز ينم عن دقة كبيرة ويكشف عن اعجاز علمي باهر ، ففي قول الحق جل وعلا : (**ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة**) يدل على ان الصخور مهما كانت صلابتها فانها تحتوي على مسام ، اي على فراغات بين حبيباتها ـ بحيث يمكن ان تتواجد داخلها الجسيمات المتناهية الصغر كحبة الخردل ، اما النفاذية فيدل عليها قوله « تعالى : (**يأت بها الله**) اي يظهرها ويخرجها من مكمنها واذا كان الانسان قد تمكن حديثا من استخلاص المياه وزيت البترول من مسام الصخور الرسوبية فان استخلاص حبة الخردل من بين مسام هذه الصخور عملية شاقة جدا لا قبل للجن او الانس بها نظرا لصعوبة حركة المواد الصلبة بالنسبة للسوائل والغازات ، وهذا هو التحدي الكبير ، والبرهان العظيم على قدرة الله التي لا تحدها حدود ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات او في الارض ، ويؤكد ذلك قوله تعالى في ختام الآية : (**ان الله لطيف خبير**) اي لطيف لا تخفى عليه دقائق الاشياء مهما صغر حجمها وتضاءل وزنها ، خبير يعلم حقائق الاشياء كلها بحيث لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .
وهناك آية كريمة أخرى تتحدث عن هاتين الخاصيتين هي قوله تعالى : (**وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون**) المؤمنون/١٨ ، حيث تشير هذه الآية الكريمة الى معان علمية خاصة بالدورة المائية في الارض ،؛ ولكن الاعجاز العلمي العظيم في هذه الآية يتجلى في قوله تعالى : (**فأسكناه**) والذي يوحي بعدة حقائق على درجة كبيرة من الأهمية :
اولا : ان اسكان الماء يعني استقراره واتزانه سواء كان هذا الماء على ظهر الارض في المحيطات والبحار والانهار او غير ذلك من المسطحات المائية وسواء تسرب هذا الماء إلى باطن الارض ليكون المياه الجوفية التي تنتقل من مكان الى آخر او استقر في احواض تركيبية شاسعة تحت سطح الارض كتلك التي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية ، والتي كشفت البحوث الحديثة عن اصلها القديم ، وقد تعتري مثل هذه التراكيب الجيولوجية الخازنة تغييرات جذرية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية فتذهب بها وما بها من ماء الى امكنة اخرى ، فتحيي ارض الصحراء الميتة اذا سيق الماء اليها . قال تعالى : (**أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون**) السجدة / ٢٧ .
ثانيا · ان لفظة (**الاسكان**) تعني انه لا بد من وجود الفراغ الذي يمكن ان تشغله المياه وفي حالة المياه الجوفية فان هذا الفراغ ما هو الا المسام الموجودة بين الصخور ، ومن الجلي ان من اوجد هذه المسام وخلقها هو الخالق سبحانه وتعالى ، فما كان للصخر ولا للطبيعة ان تخطط ذلك او ان توجد ذلك من تلقاء نفسها .
ثالثا : ان قوله تعالى : (**وانزلنا من السماء ماء بقدر**) يعني ان مقدار الماء الذي

انزل على الارض لم يكن صدفة او اعتباطا او جزافا ، ولكن انزل بقدر معلوم بحيث يكفي احتياجات الارض وسكانها على مدى تاريخها الطويل لسنوات مضت وسنوات ستأتي الى ان يشاء الله ، فمن ذا الذي قدر هذه الاحتياجات ومن ذا الذي يقدر كميات هذه المياه بالنسب الكافية لحفظ التوازن الحراري على الأرض ؟ ولحفظ حياة الكائنات الحية التي تعتمد على الماء ، ومن ذا الذي حدد نسبة المياه في المحيطات وفي البحار والانهار وبين الصخور وفي تركيب المعادن ، وفي كل ما يدب على الارض غير القادر الرزاق المهيمن الذي وسع علمه كل شيء واحاط بكل شيء علما ؟؟

رابعا : ان قوله تعالى : (**وانا على ذهاب به لقادرون**) يدل دلالة اكيدة على امرين في منتهى الاهمية :

الاول : انه لا بد من وجود مسارات بين الصخور يمكن ان ينساب خلالها الماء بل ان هذه المسام تتواجد في الصخرة الواحدة ، ويعرف الجيولوجي هذه الخاصية جيدا حيث لا تتواجد اي مواد لاصقة تربط حبيبات الصخر ببعضها البعض فتعوق سريان الماء عبر المسام .

الثاني : امكان حدوث الثورات الجيولوجية او حدوث صدوع وفوالق والتواءات وارتفاعات وانخفاضات في قشرة الارض او في جنبات الاحواض التركيبية الحاوية للماء الموجود تحت سطح الارض مما يؤدي الى هجرة المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية الى مسافات طويلة ، بحيث تصبح هذه المياه غائرة في الارض فلا يمكن للانسان ان يصل اليها بأدواته او آلاته ، وهذا يتسق مع قوله تعالى :

(**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**) الملك / ٣٠ .

وقوله ايضا :

(**اويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا**) الكهف / ٤١ .

وفي قوله تعالى « غورا » وجهان : احدهما ان يكون « غورا » بمعنى غائر والثاني ان يكون تقديره (ذا غور) فحذف المضاف كقوله تعالى : (**واضرب لهم مثلا رجلين**) الكهف / ٣٢ . اي مثل رجلين وايا كان الوجه الذي يمكن ان نأخذ به ، فان غور المياه يحدث كثيرا في بقاع مختلفة بالعالم ، حيث نرى بعض الأراضي التي لا يصلها الماء في الوقت الحاضر بعد ان كانت فيما مضى جنات مزروعة تتدفق فيها العيون واصبحت الآن جافة تماما لا ماء فيها .

★الحجر والحجارة :

الحجر في اللغة - معروف وهو يجمع في القلة على احجار وفي الكثرة (حجار) و« حجارة » وفي العلم تستخدم لفظة الحجر لتضاف الى انواع مختلفة من الصخور لتميز بينها مثل حجر الصوان وحجر المغناطيس وحجر القمر او لتصف انواعا اخرى من الصخور كالحجر الجيري والحجر الرملي والاحجار الكريمة .

ولقد وردت لفظة « الحجر » في القرآن الكريم في موضعين وذلك في الآيات التي تتحدث عن نبي الله موسى حين طلب منه بنو اسرائيل السقيا حينما اشتد بهم

العطش في التيه ، فامر الله موسى ان يضرب بعصاه الحجر فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينا بقدر عدد قبائل بني اسرائيل ، قال تعالى : (**واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**) البقرة / ٦٠

وقال تعالى :

(**وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أ ناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) الأعراف/ ١٦٠ .

أما لفظة (الحجارة) فقد وردت عشر مرات في كتاب الله الكريم ويمكن أن تقسم على النحو التالي :

أولا : الحجارة المستخدمة كوقود لنار جهنم وقد وردت بهذا المعنى في آيتين كريمتين هما قوله تعالى :

(**فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**) البقرة/ ٢٤ .

وقوله تعالى أيضا :

(**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) التحريم/ ٦ .

ولقد اختلف العلماء في تفسير المراد من هذه الحجارة ، ويقول القرطبي في هذا المقام في تفسيره لآية سورة البقرة السابقة : « والحجارة هي حجارة الكبريت الأسود ـ عن ابن مسعود والفراء ـ وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الاتقاد ، نتن الرائحة ، كثرة الدخان ، شدة الالتصاق بالأبدان ، قوة حرها اذا حميت ، وليس في قوله تعالى : (**وقودها الناس والحجارة**) دليل على أن ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ما ذكره في غير موضع من كون الجن والشياطين فيها ، وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : (**انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**) الأنبياء/ ٩٨ أي حطب جهنم ، وعليه تكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وذكر ذلك تعظيما للنار انها تحرق الحجارة مع احراقها للناس » . . وسواء كان المقصود بالحجارة : الأصنام أو حجارة الكبريت الأسود أو غيرها من الحجارة ، التي لا يعلم كنهها غير المولى سبحانه وتعالى فان الشيء الجدير بالذكر هنا هو الوصف القرآني للحجارة بأنها وقود النار ، والوقود في اللغة هو الحطب ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على قابلية هذه الحجارة للاشتعال ، وعلى درجة الحرارة الهائلة التي تستعر بها جهنم ، حتى لترمي بشرر كالقصر .

ثانيا : الحجارة التي استخدمت في اهلاك قوم لوط عليه السلام . وقد وردت بهذا المعنى في كتاب الله الخالد في ثلاثة مواقع هي :

١ ـ (**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**) هود/٨٢ .

٢ ـ (**فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .ان في ذلك لآيات للمتوسمين**) الحجر/٧٣ ـ ٧٥ .

٣ ـ (**لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين**) الذاريات ٣٣و٣٤ .

وقد قيل ان السجيل كلمة ذات أصل فارسي دخلت العربية وهي تعني الطين المتحجر ، وقيل أصله من سجين أي جهنم فأبدلت نونه لاما ، وقيل أن هذه الحجارة قد صنعت من طين وطبخت بنار جهنم ، وقيل : (من سجيل) أي مما كتب عليهم أن يعذبوا به ـ مشتق من السجل .

وقد تكون هذه الحجارة من بعض أنواع النيازك المعروفة باسم النيازك الحجرية ، والتي تشبه في تركيبها الاحجار الأرضية الى درجة كبيرة بحيث يكون من الصعب على المرء أن يفرق بينهما ، الا أنها تكون سوداء محروقة بفعل انصهارها أثناء مرورها في الغلاف الجوي للأرض ، وفي واقع الأمر فان كوكبنا الأرضي يتعرض يوميا لوابل من القذائف الحجرية النارية بمعدل عدة ملايين حجر أو حبة رمل ، الا أن حكمة الله سبحانه وتعالى قد جعلت الغلاف الجوي للأرض بمثابة الدرع الواقي ، حيث يتولى حرق هذه الأحجار بالاحتكاك وتبخيرها أثناء مرورها خلاله على ارتفاعات تتراوح بين ثمانين وخمسين ميلا من سطح الأرض ، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى :

(**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**) الأنبياء/٣٢ .

وتعرف الأحجار التي تشتعل في الغلاف الجوي للأرض باسم الشهب ، الا أن بعضها ينجح في الوصول الى سطح الأرض بعد أن ينجو من رحلة الموت ، التي تتعرض لها النيازك خلال مرورها في الغلاف الجوي ويقدر ذلك بنحو ألفي حجر في السنة الواحدة .

وأحيانا ما تمطر السماء حجارة بمعدل عشرات من الشهب المرئية كل ساعة أو كل دقيقة ، ويرجع ذلك الى مرور الأرض أثناء سيرها خلال سحب من الأحجار ، وقد اكتشف عام ١٨٦٢م أن هذه الأمطار الحجرية هي بقايا الأحجار المتخلفة عن المذنبات ، وهي أجرام سماوية ، لها رأس سديمي المنظر ، به نواة أو أكثر ، وقد يمتد منه ذيل يربو أحيانا على مائة مليون ميل ، ويتكون المذنب من صخور أو حبيبات رملية تتخللها مجموعات غازية ، ولقد كان من المعتقد قديما أن المذنبات تأتي من خارج المجموعة الشمسية ولكن الآراء الحديثة تتبعها للمجموعة الشمسية التي ينتمي لها كوكبنا الأرضي .

ولا يزال الفلكيون يذكرون في أبحاثهم ذلك الحادث الذي تعرضت له الأرض عام

١٨٣٣م حيث أمطرت السماء سيولا من الأحجار حتى قدر عدد الشهب المرئية حينئذ بنحو ٢٠٠ ألف شهاب حتى ظن أنها نهاية العالم .

وتجدر الاشارة هنا الى أن معظم أحجار الشهب تكون في حجم حبة الرمل ، واذا تخيلنا حبة من الرمال تسير بسرعة ٤٠ ميلا في الثانية وتعرض لها جسد الانسان فان هذه الحبة سوف تثقب هذا الجسد ، أما اذا تعرض الجسد لمجموعة كبيرة من هذه الشهب الصغيرة ، فانه سوف يبدو بعد ثقبه كأوراق الزرع التي أكلتها الديدان ، أو على حد تعبير القرآن : كالعصف المأكول .

ثالثا : الحجارة التي طلب مشركو مكة أن تنزل عليهم من السماء وذلك لمحادة الله ومحادة الرسول قال تعالى : (**واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**) الأنفال/ ٣٢ .

رابعا : الحجارة الصلبة التي تتفجر منها الأنهار أو تتشقق فيخرج منها الماء عيونا فوارة . قال تعالى : (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون**) البقرة/ ٧٤ .

وتتحدث الآية الكريمة السابقة عن بني اسرائيل وتبين أنهم لم تكن قلوبهم لتخضع أو تخشع بعد ما رأوا من آيات الله بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، فهي كالحجارة ، بل أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجري أنهارا ، ومنها ما يتشقق فيخرج الماء منها ، ومنها ما يتأثر بقدرة الله فيتردى من أعلى الجبال انقيادا لأمر الله ، وكلا من الحالتين : الأولى والثانية يفسران لنا بأجلى المعاني وأفصح الالفاظ المياه الجوفية التي تغور في القشرة الأرضية ، فهي تجري في المسام الموجودة بين الصخور والأحجار حتى اذا زادت الضغوط الواقعة عليها تمكنت من الخروج على هيئة مياه متدفقة من بين الصخور ، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع ، وهذا يتساوق مع قوله تعالى :

(**وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون**) يس/ ٣٤ .

وتفجير المياه : انبجاسها ، أي انطلاقها من مكامنها بين الصخور وصعودها الى أعلى ، ولا يمكن أن يتم ذلك ما لم تكن تلك الصخور ذات مسامية عالية ونفاذية كبيرة ، وقد سبق أن أشرت الى تلك الخاصيتين في موضع سابق ، والانفجار : الانشقاق ومنه انشق الفجر ، ولغويا فان الانبجاس أضيق من الانفجار ، لأنه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا .

خامسا : الحجارة التي أرسلها الله على أصحاب الفيل بقيادة أبرهة ملك الحبشة الذين أرادوا أن يعتدوا على الكعبة المشرفة ويهدموها ، وذلك ليمنعوا العرب من الحج اليها ، فأرسل الله عليهم جماعات من الطيور ترميهم بحصى متحجرة ، فكانت الحصاة تثقب الذي تنزل عليه حتى هلكوا عن آخرهم .

قال تعالى :

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . و أرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) سورة الفيل .

ولقد تضاربت الآراء حول الحجارة التي كانت تتساقط عليهم ، قال عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها ـ أي الطيور ـ فاذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري ، وكان الحجر كالحمصة وفوق حبة العدس وقال ابن عباس : كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدري .

ويذهب الامام محمد عبده في تفسيره لجزء عم ان الطير من جنس البعوض أو الذباب ، وان الحجارة كانت ملوثة بميكروبات الجدري أو الحصبة يقول الامام في هذا المقام :

« وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ـ فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه » ، ويختتم الامام تفسيره قائلا : « هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير الصورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ، وان صحت روايته ... ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر ، لا ريب عند العاقل ان هذا أكبر وأعجب وأبهر » .

غير أننا لسنا مع الامام في رأيه الأخير حيث أنه يقصر تفسير الآيات الكريمة على ما رآه هو بفكره ، واستدل عليه برأي ابن عباس وغيره ، ذلك أن كنه هذه الحجارة هو أحد الأسرار التي لا يعلمها الا خالق السماوات والأرض . وما علينا الا الاجتهاد لمعرفتها ، وما دام باب الاجتهاد مفتوحا ، فمن الغبن أن يغلقه الامام أمام الآخرين أو يغلقه غيره ، فمن الجائز أن هذه الحجارة تتشابه مع أحجار الشهب التي تكون في حجم حبة الرمل ، والتي سبق أن أشرت اليها ، وقلت إن جسد الانسان اذا تعرض لها أصبح كالعصف المأكول ، والعصف ورق الزرع والمأكول : أي الذي أكله الدود أو السوس أو أكلته الدواب وتناثر من بين أسنانها بعضه .

ومن الجائز أيضا أن تكون هذه الأحجار من المواد المشعة على غرار الغبار الذري ، وقد تكون من أضداد المادة التي اذا التقت مع المادة أدت الى فنائها وتلاشيها ، أو غير ذلك والله وحده أعلم ، وهنا تتجلى عظمة القرآن في أن الكلمات البسيطة تحتمل عدة معان وكلها تؤدي الغرض المطلوب منها ، ويمكن لاي انسان

أن يفهمها بقدر ثقافته وقدر علمه المحدود ، بل وبقدر عمره أيضا .
سادسا : الحجارة التي يمكن أن يتحول اليها الانسان بعد وفاته ، قال تعالى : **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** الاسراء/ ٤٩ ـ ٥١ .

ويتجلى الاعجاز القرآني هنا في هذا التحدي السافر للمنكرين للبعث والمتشككين في الحياة الآخرة ، حيث تأمر الآية الكريمة **(قل كونوا حجارة أو حديدا)** رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم : لو أنكم كنتم حجارة لا يمكنها أن تقبل الحياة بحال أو حديدا وهو أصلب وأقسى من الحجارة أو أي خلق آخر غيرها مما تكره قلوبكم أو يكبر شأنه في صدوركم فان الله قادر على أن يعيدكم كما خلقكم أول مرة ، وليس ذلك بغريب فالانسان قد خلق من تراب ، والتراب ما هو الا فتات الصخور والحجارة المكونة للقشرة الأرضية ، ولذلك فان قوله تعالى : **(كونوا حجارة)** يتضمن كل العناصر المكونة للتراب بما فيها الحديد ، ولقد أثبت العلم الحديث ان جسم الانسان يتكون من نفس العناصر المكونة للتراب ، كما قرر فينوجرادوف في عام ١٩٣٣ أن التركيب الكيميائي لكل الكائنات الحية ـ نباتية كانت أو حيوانية تتشابه جدا ـ لو أخذت في الاعتبار عناصر مثل الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنتروجين والفوسفور والكبريت ، وفي واقع الأمر فان كلما يدب على الأرض أو يزحف على سطحها أو يسبح في مائها أو يطير في هوائها من مخلوقات متباينة الأجناس والأنواع تجمعها جامعة واحدة وتشترك جميعها في وحدة واحدة ، ان دلت على شيء فانما تدل على وحدة الخالق سبحانه وتعالى ، ان عدد الأنواع المختلفة للمخلوقات التي تعيش على سطح الأرض يزيد عن مائتي مليون ، وكلها تعيش على سطح الأرض ، وكلها تشترك في أنها تمتص غذاءها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من تربة الأرض ومعادنها ، أو من هوائها حيث تقوم النباتات بتحويل غاز ثاني أوكسيد الكربون الى مواد غذائية في عملية التمثيل الضوئي المعروفة ولا شك أن المعادن تلعب دورا كبيرا في حياة كل الكائنات الحية .

واذا كانت المعادن الموجودة في التربة ضرورية لنمو النباتات التي يتغذى عليها الانسان والحيوان والطير أيضا ، فان القرآن الكريم يوضح ذلك في آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهي . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه/ ٥٣ ـ ٥٥ .

(والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها) النازعات / ٣٠ ـ ٣١ .

○ الفلزات في القرآن :

لقد جرى جمهور الناس على تسمية العناصر كالذهب والفضة والنحاس والحديد معادن ، ولكن الكيميائيين والمجامع اللغوية يصرون على تسميتها بالفلزات ، والفلز في اللغة ضرب من النحاس أبيض ، أو هو خبث الحديد ، أو هو يطلق على جواهر الأرض كلها ، وأغلب الظن أنه لفظ غير عربي .

أما الفلز فهو عنصر كيمائي له بريق خاص ويتميز بقابليته لتوصيل الحرارة والكهرباء ، وتتحد الفلزات منع الاوكسجين لتكون الأكاسيد ، وتوجد الفلزات في الطبيعة في صورة منفردة أو متحدة مع غيرها من العناصر ، ويتم استخلاص الفلزات من معادنها وذلك بصهرها في أفران خاصة ، حيث يتم رفع درجة الحرارة فيها الى الدرجة التي تنصهر عندها الخامات المعدنية التي تحتوي على هذه الفلزات ، والشوائب والمواد غير المرغوب فيها . والتي تعرف باسم الخبث أو الزبد وهي تطفو على سطح المادة المنصهرة ، بينما يتجمع الفلز في القاع حيث يمكن سحبه على فترات وصبه في قوالب منتظمة لتعطي أشكالا وصورا مختلفة من الأدوات التي يمكن للانسان أن يستخدمها في شؤون حياته .

وعادة ما يحتوي الفلز المستخلص ـ بعد عملية الصهر ـ على شوائب يجب ازالتها بطرق التنقية قبل أن يصبح الفلز صالحا للتسويق ، والفلزات الثمينة مثل الذهب والفضة قد توجد مختلطة بنواتج صهر النحاس والرصاص والزنك ، مكونة بذلك نواتج جانبية قيمة يمكن للانسان أن يستفيد منها ـ هي الأخرى ـ في أغراض صناعية كثيرة .

وهناك طريقتان لتنقية الفلزات ، وهما التنقية بالنار والتنقية بطرق التحليل الكهربي ، فعلى سبيل المثال ينقى الرصاص بالنار للحصول على الفضة التي يحتوي الرصاص عليها في غالب الأحيان ، وقد عبر القرآن الكريم عن استخدام الانسان للنار في صهر الفلزات التي تستخدم في صناعة الحلي والأدوات والمعدات وفي تنقيتها وذلك في الآية الكريمة التي سبق الحديث عنها وهي قوله تعالى : **(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد / ١٧

ولقد أشار القرآن الكريم الى فلزات أربعة هي الحديد والنحاس والذهب والفضة ، وسوف نتناول كل فلز من هذه الفلزات بالدراسة البسيطة الموجزة .

أولا : الحديد :

ورد ذكر الحديد في القرآن الكريم في ستة مواضع ، واحدة منها جاءت فيها لفظة الحديد بمعنى حدة البصر وذلك في قوله تعالى :

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ق/ ٢٢ ، أما المواضع الخمسة الأخرى فهي قوله تعالى :

١ ـ **(وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا إإنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)** الاسراء / ٤٩ ـ ٥١ ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى : **(قل كونوا حجارة أو حديدا)** : « ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا ان قدرتم » ، ومع هذا التحدي القرآني للكافرين والمتشككين في البعث ، يأتي الاعجاز العلمي ليتساوق مع القرآن الكريم وليؤكد ذلك ، فقوله تعالى : **(كونوا حجارة)** يتضمن كل العناصر المكونة للتراب ، والتراب ما هو الا فتات الاحجار والصخور المختلفة ، ولذلك فليس بمستحيل على من خلق الانسان من تراب أن يعيد خلقه مرة أخرى لو تحول الى حجارة في منتهى الصلابة والقسوة والغلظ والشدة ، او تحول الى أي مواد أخرى أكثر صلابة من الحجارة كالحديد .

٢ ـ قوله تعالى : **(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير)** سبأ ١٠ و ١١ ، حيث تتحدث الآية عن كيف صير الله الحديد لينا لنبيه داود ليشكله كما يشاء ، وان يصنع منه دروعا واسعة تحميه وجنده من بأس الاعداء ، وان يحكم نسج هذه الدروع بأن يجعل حلقاتها تتداخل في بعضها البعض ، وهذه الآية تدل على صلابة الحديد وقدرته على تحمل الضربات والصدمات اثناء الحروب ولذلك من الله على داود بأن ألان له الحديد .

٣ ـ قوله تعالى : **(حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)** الكهف/ ٩٣ ـ ٩٧ .

ويذكر القرآن الكريم في هذه الآيات كيف أن ذا القرنين بنى سدا منيعا وذلك بأن ساوى بين حافتي ا جبلين بما وضعه بينهما من قطع الحديد ، ثم أمر رجاله أن يوقدوا النار على الحديد حتى درجة الانصهار ، وهي درجة حرارة عالية تبلغ ١٥٣٥° مئوية ، فلما انصهر الحديد صبوا عليه القطر : (والقطر في اللغة هو النحاس المذاب) ، فأصبح بذلك السد قويا صلبا منيعا ، ولذلك لم يمكن ليأجوج ومأجوج أن يتسلقوه نظرا لارتفاعه الكبير ولا أن يثقبوه نظرا لصلابته العالية ومن المعروف ان الحديد يتميز ايضا بصلابة عالية ، والصلادة تعني قدرة المعدن على مقاومة الخدوش التي يمكن أن تحدث فيه ، وقد وجد أن الحديد له صلادة أعلى

من باقي الفلزات كالنحاس أو الالمنيوم أو الرصاص .. الخ .
٤ ـ قول الحق ـ جل وعلا ـ في سورة الحديد : (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد/ ٢٥ .

لقد كان من الشائع بين الكيمائيين أن الحديد لا يتواجد على سطح الأرض في صورة منفردة بمعنى أنه يتواجد فقط على شكل مركبات كيمائية كالاكاسيد والكبريتيدات ، ولكن ثبت أن هناك أنواعا من النيازك التي تتساقط على سطح الأرض تبلغ نسبة الحديد الفلزي فيها إلى نحو ٩١٪ ، كما توجد أنواع أخرى تقل فيها نسبة الحديد « حوالي ٣٥٪ » ، ولقد كان المفسرون القدامى يقصرون معنى الانزال على الخلق كما فعل القرطبي حين رجح أن الحديد قد خلق مع الارض واستدل على ذلك بقوله تعالى :

(**وأنزلنا الحديد**) أي أنشأناه وخلقناه ، كقوله تعالى (**وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**) وهذا قول الحسن فيكون من الأرض غير منزل من السماء) وسواء كان (**إنزال الحديد**) يعني خلقه او يعني اسقاطه من السماء ، فان الآية الكريمة السابقة تحتمل كلا المعنيين ، وهذا هو سر عظمة القرآن وسر اعجازه .

٥ ـ قوله تعالى : (**هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد**) الحج/ ١٩ ـ ٢١ .

والمقامع في اللغة هي السياط ، وأصل المقمعة : ما يقمع به : أي يكف بعنف .

والآية الكريمة : (**ولهم مقامع من حديد**) تتساوق مع قوله تعالى في الآية التي سبق الاشارة اليها : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) ولذلك يستخدم الحديد لقمع الكافرين والمشركين في النار كلما حاولوا أن يهربوا من هول جحيمها ، فتردهم الملائكة بسياط من حديد الى حيث كانوا ، ولم يتوصل العلم الى الآن الى اكتشاف فلز أو معدن له خواص الحديد في بأسه وقوته ومرونته وشدة تحمله ، بيد أنه تجدر الاشارة بنا هنا الى أن الحديد المستخدم في المقامع التي تستخدمها الملائكة في جهنم يختلف في خواصه ومميزاته عن الحديد الذي نعرفه ، تماما كما تختلف الفاكهة التي ينعم بها المؤمنون في الجنة عن الفاكهة التي نعرفها في حياتنا الدنيا ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : (**مقامع من حديد**) ، حيث نلاحظ دخول حرف الجر (من) على كلمة (حديد) ليدل على أن الحديد المستخدم في هذه المقامع انما يتجانس فقط مع الحديد الذي نعرفه في الدنيا ، ولكنه يختلف عنه في الخواص والاغراض التي يستعمل فيها وهذا يتمشى مع المنطق والمنهج العلمي ، اذ لا يمكن للحديد الدنيوي أن يتحمل درجات الحرارة العالية جدا في جهنم دون أن يتغير شكله أو ينصهر ، ثم قد يكون الحديد الذي تصنع منه المقامع مكونا من عدد من العناصر التى لا يعلمها الا الله وتحتوي على الحديد كعنصر رئيسي فيها ، ولذلك قال

تعالى : (**ولهم مقامع من حديد**) ولم يقل « ولهم مقامع حديدية » لان الصفة في الجملة الثانية تقصر المواد التي تصنع منها المقامع على الحديد وحده ، والله وحده اعلم .

★النحاس :

ورد ذكر النحاس في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : (**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**) الرحمن/ ٣٣ ـ ٣٥ .

وهي تبين أن كل من تسول له نفسه من الجن أو الانس أن يخترق أقطار السماء ، فانه سوف يتعرض لأقسى أنواع العذاب ، حيث سيصب عليه نار ونحاس مصهور فلا يقدر على اتقائه أو دفعه ، ومن الجدير بالذكر أن الانسان قد توصل إلى صنع نوع خاص من الذخيرة المضادة للدبابات تعرف باسم « الحشوة الجوفاء » وتعتمد نظرية عملها على تجميع الموجات الانفجارية الناتجة من تفجير المادة المحطمة داخل المقذوفات أو الصواريخ في نقطة واحدة هي البؤرة وقد وجد خبراء المفرقعات أن استخدام النحاس كمادة مبطنة للمادة المحطمة في هذا النوع من الذخيرة ، يزيد من كفاءة اختراق المقذوفات للدروع السميكة للدبابات والعربات المجنزرة ، ولم يتوصل الانسان بعد الى معدن آخر يضاهي النحاس ـ في هذا المجال عمليا واقتصاديا ، وأي خبير في الذخيرة يدرك أن قوله تعالى : (**شواظ من نار ونحاس**) ينطبق تماما على نواتج تفجير مقذوفات الحشوة الجوفاء التي تستخدم ضد المدرعات ، فالشواظ في اللغة لسان اللهب ، ومن البديهي أن الانسان اذا حاول اجتياز أقطار السماوات والارض فسوف يتعرض لهذه المقذوفات من مصدر مجهول ـ ويدل على ذلك أن الفعل (**يرسل**) في الآية الكريمة مبني للمجهول ـ كما أن دقة التصويب في اطلاق هذه المقذوفات كبيرة جدا بحيث لا يمكن للجن أن يتفاداها ؛ أو للانس أن يتحاشاها ، ولذلك كان قوله تعالى (**فلا تنتصران**) تعبيرا عن ذلك ، وكانت الآية الكريمة السابقة التي ورد ذكر النحاس فيها تعد سبقا علميا كبيرا للقرآن في مجال المقذوفات .

★ الذهب والفضة :

يعد معدن الذهب من المعادن التي خلبت لب الانسان منذ قديم الزمان ، ولذلك يعتبره القرآن الكريم أحد الشهوات التي زين للناس حبها وكذلك الأمر بالنسبة للفضة ، قال تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع**

الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) آل عمران/ ١٤ .
ولقد قدس الانسان هذين المعدنين ـ أحيانا ـ وما عجل بني اسرائيل الذهبي الذي عبدوه ببعيد عن الأذهان ، ولقد بلغ حب القدامى للذهب أن طلب فرعون من موسى أن تلقى عليه أسورة من ذهب لكي يؤمن بربه ، قال تعالى : **(ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين)** الزخرف/ ٥١ ـ ٥٣ .
ونظرا لأن الذهب له منزلة كبيرة عند البشر وكذلك الفضة ، فان الصراع كان دائما منعقدا بين بني البشر من أجل تملك هذين المعدنين ، ولذلك يحذر القرآن الكريم هؤلاء الذين يقومون بكنز الذهب والفضة ، قال تعالى : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)** التوبة/ ٣٤ ـ ٣٥ . والآيتان الكريمتان السابقتان ترسمان لنا صورة من أبشع صور التعذيب الجسدي والنفسي لهؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وجذبهم رنين الذهب وبهاء الفضة ، ومن المعروف أن المراكز الحسية والعصبية للانسان تتواجد في الجلد ، ولذلك فإن كي الجباه والجنوب والظهور يمثل نوعا من أقسى انواع العذاب الجسدي ، خاصة وان الذهب والفضة معدنان يتميزان بقدرتهما الكبيرة على توصيل الحرارة وامتصاصها ، ومما يزيد هذا العذاب الجسدي ضراوة عذاب نفسي يتمثل في أن هذين المعدنين اللذين كانا طوع يد الانسان في الحياة الدنيا قد تحولا إلى مصدر للالم في الآخرة ، وعلى النقيض من ذلك تشير آيات أخرى الى النعيم الذي ينتظر المؤمنين في جنة الخلد ، قال تعالى :

★ **(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير)** الحج/ ٢٣ .

★ **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا)** الكهف/ ٣٠ و ٣١ .

★ **(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير)** فاطر/ ٣٢ و ٣٣ .

★ **(الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس**

وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) الزخرف/ ٦٩ ـ ٧١ .

★ **(ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قواريرا من فضة قدروها تقديرا)** الانسان/ ١٥ و ١٦ .

★ **(وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا)** الانسان/ ٢١

والآيات الكريمة السابقة تتحدث عن النواحي التي يستخدم فيها الذهب والفضة في الآخرة ، فمنهما تصنع الأساور والأواني والقوارير والصحاف والأكواب ، وتجدر الاشارة الى أن الذهب لا يعتريه الصدأ كالحديد ، ولا يتفاعل مع الرطوبة والهواء كالنحاس ، ولا يتأثر بالاحماض كباقي المعادن ، ومن ثم فلا خوف على الطعام او الشراب الذي يوضع في الأواني والاكواب من التلوث ، وكذلك الأمر بالنسبة للفضة فهي تقاوم عملية التأكسد « الصدأ » كما تفيد الفضة في قتل الجراثيم والكائنات الدقيقة ، وعلى سبيل المثال ، فقد اثبت العلم الحديث ان جزءا واحدا من الفضة يكفي ـ اذا وضع في مصفاة ـ لقتل الجراثيم الموجودة في عشرة ملايين جزء من الماء دون ان يسبب خطرا على حياة الانسان ، كما أن ملعقة صغيرة من الفضة تطهر أكثر من ٣٦ مليار لتر ماء ، وبذلك تفوق فاعلية الفضة في تعقيم المياه فعالية الكلور عشرة اضعاف .

وبالاضافة الى قيمة الفضة في تطهير الغذاء ، فان الفضة هي ايضا افضل موصل للكهرباء والحرارة ، واذا اعطينا الفضة رقم ١٠٠ فسوف نجد أن المعادن الاخرى لها القيم التالية في نقل الحرارة :

الفضة	١٠٠	الحديد	١١,٦
النحاس	٧٣,٦	البلاتين	٨,٤
الذهب	٥٣,٢	الرصاص	٨,١
الزنك	١٩	البزموث	١,٨

ولهذا تستخدم الفضة في امتصاص الطاقة الشمسية حديثا ، وقد قام العلماء في مختبر اوديو للطاقة الشمسية في جبال البيرنيه بفرنسا ، باستخدام صفوف من المرايا الفضية المغطاة بطبقة رقيقة من الزجاج لعكس نور الشمس مركزا داخل فرن ضخم ، تبلغ درجة حرارته ٣٨٠٠ درجة مئوية ويمكن لهذه الحرارة العالية أن تذيب طبقا فولاذيا سمكه ١٣,٥ ملليمترا ، والأهم من ذلك ان الحرارة الناتجة لا تلوث الجو ، وكأن ذلك هو ما تنبأ به القرآن الكريم حين قال :

(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون) الزخرف/ ٣٣ .

وبالرغم من أن الآية السابقة تشير إلى أن هذه الدنيا من الهوان عند الله بحيث كان يجعل سقف الكافرين من الفضة ، الا ان الشيء المثير للانتباه هو اختصاص الفضة بالذكر في الآية دون الذهب ، والذهب أغلى وأقيم . لا بد أن في الأمر سرا يرتبط ـ والله اعلم ـ باستغلال الطاقة الشمسية عن طريق المرايا الفضية ـ ويؤكد

ذلك أن لفظة (سقف) هي جمع الجمع لكلمة (سقف) بسكون القاف ، كما أن بعض المفسرين يرون ان « اللام » في « لبيوتهم » بمعنى على ، اي علي بيوتهم ، وبذلك يمكن القول بان صفوف المرايا الفضية التي توضع على سطوح المباني والمنشآت هي السقف التي اشار اليها القرآن الكريم وتنبأبها منذ أربعة عشر قرنا .

وتتبقى آية أخيرة تتحدث عن العذاب الأليم الذي ينتظر الذين كفروا وكذبوا بلقاء ربهم ، وتبين انه من المحال ان تقبل التوبة من احدهم لو افتدى نفسه بملء الارض ذهبا ، قال تعالى : (**ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين**) آل عمران / ٩١ .

★ الحلى والمعادن :

تستخدم لفظة « الحلى » لتدل على المواد التي يستخدمها الانسان لأغراض الزينة سواءكانت هذه المواد ذات اصل معدني كحجار الزينة والاحجار الكريمة اوكانت ذات اصل حيواني كاللؤلؤ والمرجان ، وما يهمنا في هذا المجال هو الحلى ذات الاصل المعدني كالذهب والفضة والياقوت ، وقد تحدث القرآن الكريم في مواقع عن مصادر استخراج هذه الحلى وبين انها تستخرج من مياه الانهار والبحار ولا تستخرج فقط من المياه المالحة كما كان الناس يعتقدون قديما ، قال تعالى :

١ ـ (**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها**) النحل / ١٤ .

٢ ـ (**وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها**) فاطر / ٢٢ .

٣ ـ (**مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**) الرحمن / ١٩ ـ ٢٢ .

وعلى سبيل المثال يحصل الانسان على معظم الذهب الذي يتم انتاجه في العالم من رواسب الوديان كما هو الحال في منطقة نهر اللينا والأورال ، وفي مناطق ياكوت ونهر يينساي بالاتحاد السوفياتي ، وكذلك حقل ذهب بحيرة كيركلاند باونتاريو في كندا ، ورواسب الوديان الحاوية للذهب بكاليفورنيا .

ومن الاحجار الكريمة التي تستخدم في عمل الحلى معدن الزيركون وهو حجر كريم جذاب وتتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم انواعه تستخرج من الرواسب النهرية كذلك فان حجر التوباز يوجد ايضا في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة في العالم ، اما الياقوت فانه يتواجد هو الآخر في الرواسب النهرية في « كوجوك » في بورما العليا وفي الرواسب النهرية بتايلاند وسيريلانكا وقد تحدث القرآن الكريم عن **نوعين من الحلى** :

الاول : الحلى المصنوعة من المعادن وذكر منها القرآن الذهب والفضة والياقوت .
والثاني : الحلى المصنوعة من مواد عضوية وذكر منها القرآن : اللؤلؤ والمرجان .
واللؤلؤ مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية التي تعيش في مياه البحار والانهار وهذه المادة تكون على شكل حبات ذات بنيان صلد املس براق من كربونات الكالسيوم ، ولقد كان الرأي المعروف الى فترة بسيطة ان اللؤلؤ انما يستخرج فقط من المياه المالحة الى ان تمكن الانسان اخيرا من استخراج بعض أنواعه من المياه العذبة في انجلترا واستكلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان ..
اما المرجان فهو عبارة عن صخر تبنيه في البحر أحياء مائية غاية في الصغر ، لتتخذ منه بيوتا لها في الماء وهي تبني هذه البيوت من مادة الحجر الجيرى الموجودة في البحر .

★ الياقوت :
تحدث القرآن الكريم عن الياقوت في موضع واحد في كتابه الكريم وذلك في قوله تعالى :
(فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان) الرحمن / ٥٦ ـ ٥٨ .
يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآيات الكريمة في كتابه الشهير الجامع لاحكام القرآن : « روى الترمذي عن عبدالله بن مسعود عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال : « ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها » .
وذلك بان الله تعالى يقول : كأنهن الياقوت والمرجان ، فأما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون : ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك ، كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال الحسن : هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان) .
وما يقوله القرطبي في تفسير قوله تعالى : **(كأنهن الياقوت والمرجان)** يتساوق مع ما اثبته العلم من ان الياقوت يتميز بان له شفافية عالية ، وكلما كان الياقوت شفافا كلما زادت قيمته ، ولذلك تعد الشفافية عاملا هاما في تقدير الجواهر والحلى .

خاتمة :
هكذا طفنا في رحاب كتاب الله الخالد ، والقينا الضوء على الآيات الكريمة التي تشير الى المعادن ، واشرنا الى ما فيها من اعجاز ان دل على شيء فانما يدل على ان القرآن الكريم من عند الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وانه كتاب لا يأتيه الباطل أبدا ـ ولا يمكن للجن او الانس ان يأتوا بآية من آياته مهما أوتوا من علم ، ومهما أوتوا من قدرة ، والله يهدينا الى صراط الحميد .

وقفة تأمل

عقدة الأجنبي

واقع الامة المسلمة : صورة عجيبة ، مضحكة ، مبكية .. صورة غير واضحة المعالم ، وبلا اطر ، ولا ابعاد .. خليط من :

الشاب المستهتر اللاهي .. الذي يعيش يومه .. بلا امل في غده ، ولا تفكير في مستقبله ، ولا حرص على وقته ، بل حياته بين لهو بريء وغير بريء تحيط به رفقة السوء فتزين له الباطل فيراه حقا .. ويسيء الى نفسه من حيث يظن انه يحسن صنعا .. فلا يرعى للدين حرمة ، ولا للأهل حقا ، ولا للوطن واجبا .. وهذا وبال على نفسه وعلى امته ..

○ وشاب اخر يسارع الى مرضاة ربه ، قلبه معلق بالمساجد .. يفيض الايمان على جوارحه ، عف اللسان ، طاهر الثوب ، نقي الباطن .. يعرف لله حقه ، وللاهل واجبهم .. وللوطن حرمته .. يعيش من اجل نفسه وامته ، تجده في طرق الخير دائما حامل مشعل نور ، يهدي الى التي هي احسن ، ويجد في رمضان فرصة فينشط لعبادة الله تعالى صوما بالنهار ، وقياما بالليل ..

○ والفتاة ممن أنار الله بصيرتهن .. تتمسك بأهداب الدين ، فتحرص على كل فضيلة وتأنف من كل رذيلة .. فهي مسلمة في ظاهرها ، وباطنها .. تعرف لكل ذي حق حقه .. وتساهم في بناء صرح امتها الاسلامية الخالدة .

○ واخرى لا يهمها الا تقليد الغرب سلوكا ومظهرا .. اذا كانت « المودة » في الملابس القصيرة .. فهي سباقة اليها ، واذا كانت في الملابس الطويلة فهي مقلدة لها .. الى غير ذلك ..

○ من هنا فان واقعنا متناقض عجيب : ايمان صادق .. وصور زائفة .. اصحاب تقوى .. واصحاب سيئات ، عفاف وشرف ، واستهتار بالقيم .. فمتى يستقيم واقعنا هذا ؟! ام ستظل تصدق فينا هذه العبارة « عقدة الخواجة » : والتي تفسد واقعنا ، وتشوه مظهرنا ، وتنشر القبح في حياتنا ..

○ يحكى ان الشيخ حسن البنا كان في زيارة للشيخ المراغي ـ شيخ الازهر الاسبق ـ ودار حديث بينهما عن واقع المسلمين ، وعن كيفية نجاح الدعوة الى الله . وكان مما قال الشيخ المراغي : ان ابنته جمعتها صحبة السفر بالقطار باحدى الاجنبيات .. ودار حديث بينهما .. وقالت الاجنبية عن احد الصحابة الشيء الكثير مما شد انتباه ابنة الشيخ .. فما كان منها الا ان طلبت من ابيها كتابا يتحدث عن الصحابي الجليل .. فقال لها والدها الشيخ : طالما حدثتك عن الصحابة الكرام وتاريخهم وامجادهم . فلم تعطي حديثي اهتماما .. حتى اذا جاءت تلك الاجنبية فحدثتك عن صحابي جليل استمعت لكلامها وشدك حديثها !! ثم اردف قائلا : « اترانا يا شيخ حسن لن نسلم حقا الا اذا اسلم الاجنبي اولا ؟!! شيء عجيب .. فهل ان لحكامنا ان يطبقوا شرع الله في كل جوانب حياتنا .. ام علينا ان ننتظر حتى نأخذ ذلك عن الغرب ، كما اخذنا قوانيننا الوضعية !! .



يبدو أن الطبيعة البشرية بما فيها من أثرة تتغلب في كثير من الأحيان على المصلحة العامة وبخاصة حين لا يكون الايمان عميقا في النفس - ويكون من نتائج ذلك ما نقرؤه في كتب التاريخ وما نراه ونسمع عنه في عصرنا الحاضر من تنافس وتناطح وحروب - وكل ذلك يشقى به الفرد كما يشقى به المجتمع .

ونحن نقرأ في كتب التاريخ أنه حين وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ توزعت المملكة بين أولاده وأفراد أسرته ، وأراد كل واحد منهم أن يثبت ذاته ، فنشأ لذلك الصراع بينهم ، وبدلا من أن يستخدموا مؤهلاتهم وكفاءاتهم في أداء رسالتهم الاسلامية - اذا بهم يتجاوزون هذا كله - ويبدأ بعضهم في الاستعانة بالصليبيين لتدبير المؤامرات ضد اخوانهم - وكان لابد من جني الثمار لهذا السلوك - فاضطربت الدولة سياسيا ، وانحلت اخلاقيا ، وانتشرت الفوضى في الولايات التابعة للمملكة ، وافتقد الناس الأمن وهو أهم حاجات الناس في هذه الحياة .

وتجرأ الصليبيون على المسلمين

فبدأت غاراتهم على المدن الاسلامية التي استردها صلاح الدين منهم بعد تضحيات كثيرة .

○ داخل المجتمع الاسلامي :

نحن نعرف أن الهزيمة تأتي من الداخل قبل أن تأتي من الخارج ، ولذلك فلابد وأن نلقي نظرة على المجتمع الاسلامي في الفترة التي سبقت موقعة عين جالوت لنرى ما وصل اليه وأثر ذلك في طمع أعدائه فيه .

حدثت منازعات بين الملك العادل والملك الأفضل ـ كان من نتائجها اشتداد الغلاء ، وهلاك كثير من الاهالي حتى يقال كما روى بعض المؤرخين : ان الملك العادل كفن من ماله في شهر من سنة ٥٨٩ هـ نحوا من مائتي الف ، كما أكل الناس لحوم الكلاب .

وفي بلاد الشام والعراق وغيرها حدث زلزال عظيم كان من نتائجه موت نحو ثلاثين الفا في نابلس وقراها ، وقد قدر صاحب مرآة الزمان انه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو مليون ومائة الف انسان قتلا .

أما بغداد ـ مركز الخلافة ـ فقد سيطرت عليها مظهرية الملك ، وتغلغل نفوذ الخدم والحشم في قصور الخلفاء ، وبلغت الثروة والاسراف والمدنية ذروتها الى درجة ان المواكب الملكية كانت تشغل الناس عن الصلاة ، وكثرت مصادرات الاملاك وتفشت الرشوة وعزل كبار الموظفين وألقي القبض عليهم وصودرت املاكهم .

وتفاقم أمر الباطنية والشطار ـ واشتد النزاع الطائفي والتفكك الخلقي والانصراف الى اللهو والتكاثر في الاموال .

وهكذا كانت الحالة الداخلية في المجتمع الاسلامي : فرقة ونزاعا وعدم استقرار ـ وهذا ما هيأ الجو لأن تكون الدولة الاسلامية منهزمة من الداخل قبل ان تهزم من الخارج على يد اعدائها .

في هذه الفترة كان جيش بغداد يبلغ عشرة آلاف فارس ـ قلة في العدد وضعف في العزيمة وخور في الهمة ـ والخليفة سلبت منه كل سلطاته ، فلم يعد الا مجرد رمز ، هكذا أرادوا له أن يكون كالببغاء لا ينطق الا بما يريدون .

وملوك خوارزم الذين قامت دولتهم القوية في الجزء الشرقي من العالم الاسلامي في اخر القرن الخامس ، واصبح أكثر العالم الاسلامي خاضعا لسلطانهم لم يبذلوا قواهم الا في توسيع رقعة الحكم ودعمه وقمع خصومهم ، ولو انهم وجهوا اهتمامهم في تبليغ رسالة الاسلام الى من يجاورهم ، لأمكنهم بذلك أن يضموه الى عقيدتهم وأن يستأنسوا وحشيته ، ولأقاموا بذلك لأنفسهم سياجا يحميهم .

○ خارج المجتمع الاسلامي :

في هذه الفترة من التاريخ ظهر على

المسرح الخارجي التتار - القوة الجديدة في العالم - والتي عرفت بالوحشية المتناهية في معاملة البلاد التي تغير عليها ، لقد استولوا على فارس وتركستان - وكانت ابصارهم شاخصة الى بغداد مركز الخلافة الاسلامية ، وكانت الاحوال الداخلية المضطربة تجعل الوضع الداخلي على درجة كبيرة من الفوضى في كل ناحية .

ومما زاد الطين بلة أن الخليفة المستعصم استوزر محمد بن العلقمي سنة ٧٤٣ هـ ولم يكن وزير صدق ، فزاد نظام الحكومة اضطرابا - ولما وقعت الحرب بين أهل السنة والرافضة سنة ٦٥٥ هـ نهبت الكرخ ومحلة الرافضة - ووصل الامر الى نهب دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه ، ودبر للاسلام وأهله ما وقع من الامور التي لم يؤرخ أبشع منها منذ بنيت بغداد .

○ زحف التتار :

بدأ التتار زحفهم بقيادة ملكهم جنكيز خان نحو الجزء الشرقي للعالم الاسلامي - ايران وتركستان - حتى وصلوا الى بغداد وقاموا بتدميرها وابادة علمائها سنة ٦٦٥ هـ - والدافع المباشر لما قام به التتار هو قتل تجار قافلة كان افرادها جميعا من التتار بحجة أنهم جواسيس - ولما شكا جنكيز خان الى خوارزم شاه ما حدث للتجار - انتهز خوارزم شاه الفرصة فقتل رئيس السفراء ، وأمر باحراق لحي الباقين الذين رجعوا الى جنكيز خان ، وقتل الرسل عمل لا يقره اي قانون ، وهذا يدل على عدم تقدير للامور الذي هو أهم شيء في القيادة السياسية لدولة من الدول .

وثار جنكيز خان لهذا العمل وقال قولته المشهورة « اذا كانت السماء لا تحتمل وجود شمسين ، فإن الأرض كذلك - لا تحتمل ملكين .

بدأ التتار زحفهم على بخاري فأتوا عليها من كل جانب حتى أصبحت كومة من تراب ، ثم سمر قند حتى أحرقوها وأبادوا أهلها - وهكذا في جميع المدن التي مروا بها مثل همدان وقزوين ومرو ونيسابور وخوارزم .

وكان من نتائج هذا كله أن خوارزم شاه ، الذي كان يعتبر الملك الوحيد للعالم الاسلامي ، واقوى الرجال في عصره - أصبح يعيش في خوف وهلع ، وأصبح ينتقل من بلد الى بلد فارا بنفسه والتتار من خلفه يبحثون عنه ، حتى توفي في جزيرة مجهولة .. وقد دخل رعب التتار قلوب المسلمين جميعا حتى أصبح اسمهم يهز النفوس ويبعث فيها الرعب ..

وهزت غارات التتار العالم الاسلامي هزا عنيفا وغلب على الناس اليأس - حتى دخل في قلوب الناس أن مقاومتهم مستحيلة ، وشاع في الناس أن التتار لا يهزمون ، ولذلك فقد أصبح كل شيء مصدقا ، وقد قتلوا في مدينة ري وحدها اكثر من سبعمائة الف مسلم - وفي بغداد استمر التتار يقتلون الأهالي أربعين يوما - حتى أصبحت خاوية على عروشها - ولم يرع التتار عهدا ولا ذمة ، وقد أنزل

هولاكو الخليفة المستعصم في خيمة - ثم دخل الوزير واستدعى التتار أهل الحل والعقد ، ليحضروا المعاهدة فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم - وهكذا تخرج طائفة وراء أخرى لتلقي نفس المصير - وكما فعلوا في بغداد فعلوا في حلب سنة ٦٥٨ هـ حيث استولوا عليها وأحرقوا مساجدها ، وجرت الدماء في الأزقة - ثم وصل التتار الى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن ايوب - فخرج هاربا ومعه الأغنياء ، ودخل التتار دمشق وتسلموها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها ، ووصلوا الى نابلس والكرك وبيت المقدس وغزة .

وقد استثمر التتار حرب الصاعقة وحرب الأعصاب الى أقصى حد فنشروا الذعر والخوف من بطشهم في كل مكان - وحيثما اتجهت قواتهم كانت تسبقهم الأقاصيص عن طغيانهم وقسوتهم ومذابحهم - وقد تدفق على مصر جموع الفارين من التتار ناشرين الرعب والفزع بين أفراد الشعب من هول ما يروونه من أخبار وفظائع المغول .

وقد كان للنصارى موقف غريب - فقد استقبلوا التتار خارج مدينة دمشق ، وقدموا اليهم الهدايا ، وكان معهم صليب يحملونه على رءوس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون : « ظهر الدين الصحيح - دين المسيح » . ويذمون الاسلام وأهله - ومعهم أواني الخمر يرشون منها على وجوه الناس ، ويأمرون كل من يجتاز الأسواق ان يقوم لصليبهم - فتكاثر عليهم المسلمون وردوهم الى كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم يمدح دين النصارى ويذم دين الاسلام وأهله ، ودخلوا الى الجامع بخمرهم ، فاجتمع قضاة المسلمين وفقاؤهم ودخلوا القلعة يشكون هذا الى متسلمها « ايل سيان » فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم - كما أمر جنكيز خان بقتل كل من يذبح الحيوانات على النحو الذي قرره الاسلام وسار على هذا النهج خلفاؤه .

ويلاحظ أن حاشية جنكيز خان كانت تضم عددا كبيرا من المسيحيين من بينهم قائده « كتبغا » وفي الوقت الذي ذبح فيه قوات التتار المسلمين في مذابح بغداد وغيرها لم يمس المسيحيون في تلك المدن .

○ موقف أوربا

وقد أيد المسيحيون في أوربا التتار تأييدا تاما - ذلك لانهم كانوا أصدقاء لهم ، كما كان لهولاكو زوجة مسيحية ، وكان لذلك أثره في سلوك التتار ، فولى سوريا رجل مسيحي بعد أن دخلها التتار - وكانت نظرة المسيحيين في أوربا على انهم حلفاؤهم - من هنا فكر البابوات في نشر المسيحية بين التتار - كما فكر ملوك أوربا في تأليف حلف بين التتار والمسيحيين لتدمير البلاد الاسلامية .

وقد دعا لويس رجال التتار الى فرنسا ، حيث فاوضهم على عقد

اتفاقية عسكرية ، تنص على أن يقوم طرفاها بعمليات حربية على المسلمين ، يكون دور التتار فيها غزو العراق وتدمير بغداد والقضاء على الخلافة الاسلامية ، ويكون دور الصليبيين حماية هذا الغزو من الجيوش المصرية ، وتجريد جيوشهم لمنع نجدة القوات المصرية للمسلمين في آسيا ، وبذلك تعزل مصر عزلا تاما ، يقول الأسقف « دي مسيل » في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية « لقد كانت الحملة التترية على الاسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها ـ وقد هلل لها الغرب وارتقب الخلاص على يد هولاكو وقائده المسيحي « كتبغا » الذي تعلق أمل الغرب عليه ليحقق له القضاء على المسلمين ـ وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية ـ ولم يعد للغرب أمل في بلوغه الا على أيدي التتار خصوم المسلمين » .

○ قطز :

في هذه الفترة كان يحكم مصر قطز ـ ترى ماذا كان يحدث لو أن رجلا غيره كان يحكم مصر في هذه الفترة ؟ـ لكن الله سبحانه وتعالى كان رحيما بعباده ، فقيض للأمة الاسلامية في هذه الفترة ذلك الرجل الذي عزم على أن يقوم بدوره كاملا في إعادة مجد المسلمين ومحو الآثار التي ترتبت على الأحداث التي قام بها التتار في البلاد الاسلامية .

أرسل التتار رسلا الى مصر ـ ليشيعوا بين أهلها أن التتار خلقوا ليحكموا ويتحكموا في الرقاب وعلى الناس أن يقبلوا ذلك ساجدين ـ وقد أثار هؤلاء المبعوثون الفتنة في البلاد منذ حلوا في ضيافة الملك ـ وقد كانوا يمنونه ويعدونه ـ وكان رد قطز على ذلك أن أمر بقتل الرسل : فتم شنق أربعة منهم عند باب الساحة من ناحية الأزهر ـ وترك الخامس ليعود الى هولاكو فيبلغه ما رأى .

وقد كان مع هؤلاء الرسل رجال مخصوصون للتجسس ، وليعرفوا مداخل الحصون ومخارجها واستحكامات المدينة ، وما الى ذلك من الأماكن الحربية ـ وكان مع الرسل كتاب من هولاكو يهدد فيه ويطلب التسليم ، وقد جاء فيه « يعلم الملك قطز أنه من جيش المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم وأنا نحن جند الله في أرضه ـ خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ـ فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم ـ فنحن لا نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكر ـ وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ـ فعليكم بالهرب وعلينا الطلب فما لكم من سيوفنا خلاص ـ فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال » .

وقد عزم قطز على قطع أي أمل في حل غير القتال من المترددين والمنهزمين فقتل الرسل وقال قولته الحاسمة : ان الرأي عندي هو أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا

فهو المراد والا فلن نكون مسلمين أمام الخلق - ومن هنا فقد بدأ يعد العدة المتكاملة لمقابلة التتار - فأرسل الى ملوك المسلمين لتحقيق وحدة الغاية في مواجهة التتار وانقلبت القاهرة الى صناعة تعد للحرب عدتها .

○ العز بن عبد السلام :

وجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه من أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، وحضر أصحاب الرأي في دار السلطنة بقلعة الجبل وقال ابن عبد السلام : « انه اذا طرق العدو بلاد الاسلام وجب على المسلمين قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم - بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء ، وتبيعوا ما لكم من الحوائج المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة » وقد وافقوا على قوله ، ولكن الكلام شيء والتنفيذ شيء آخر - وشرح قطز لابن عبد السلام صعوبة الأخذ من أموال الأمراء فقال العز : لا أرجع في فتواي لرأي ملك أو سلطان ، وذكره بالله وبالعهد الذي قطعه على نفسه على أن يقوم بالعدل وينظر في حال المسلمين ومصلحتهم وأغلظ له في القول - وقد اغرورقت عينا قطز بالدموع ، وقام الى الشيخ فقبله على رأسه قائلا : بارك الله لنا ولمصر فيك ، وان الاسلام ليفخر بعالم مثلك ، لا يخاف في الحق لومة لائم .

وقد عهد قطز الى الشيخ الاشراف على التعبئة المعنوية والى وزيره ابن عبد الرفيع بالاشراف على جميع الاموال وتسليح كل قادر على حمل السلاح وشملت التدريبات العسكرية كل قرية - كما شملت البلاد روح من التشوق الى المثل العليا والتوبة من الذنوب والاقبال على الله ، وكل واحد أصبح يتمنى لو مات شهيدا ، وسارع أصحاب دور اللهو الى إقفالها ، وأصبحت القاهرة كأنها محراب عبادة .

وقد صفى قطز مشكلاته مع المتقاعسين من المماليك حين عرض أمرهم على الأمة ، فأشارت بحبسهم حتى تنتهي المعركة - كما طلب من الافرنج أن يحددوا موقفهم واتفق معهم على الحياد .

○ عين جالوت :

أحس قطز بأن التتار سيزحفون الى مصر بعد الشام - فقد تواترت الأخبار بأن التتار قد استولوا على سورية وفلسطين ، كما وصل الى القاهرة كمال الدين عمر بن النديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، يطلب من قطز النجدة على قتال الكفار ، ورأى الملك قطز ان خير وسيلة للدفاع الهجوم - فرأى أن يخرج من مصر بالجنود ويشن عليهم الهجوم في الشام ، وقد كان خروجه في يوم الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨ هـ بجيوش مصر ومن انضم

اليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم ـ ونودي في القاهرة والفسطاط وسائر أقليم مصر بالخروج الى الجهاد ـ وتقدم قطز الى جميع الـولاة بحث الاجناد للخـروج الى القتـال ، وسـار حتى وصـل الى الصالحية . فجمع الأمراء وكلمهم في الرحيل فأبوا وامتنعوا على الرحيل ـ فقال يا أمراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزو كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد فليصحبني ومن لم يختر فليرجع الى بيته فإن الله مطلع عليه ـ وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين .

وقد كان قادة قطز يريدون الدفاع لا الهجوم للصيت الذي بلغهم ، وبذل قطز جهودا ضخمة في رفع معنويات الجماهير والقادة على حد سواء ـ وكان عليه ان يزيل آثـار الحرب النفسية المغولية التي تمثلت في قول بعض الأمراء « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومة التتار » وهنا قال قطز : « ان الرأي عندي أن نتوجه جميعا الى القتال ـ فاذا ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون مسلمين أمام الله » وعمل جهده على حشد كل طاقاته المادية والمعنوية للحرب ـ فلا يعلو صوت على صوت المعركة ولا يقبل عذر من قادر على الجهاد بماله وروحه ـ وقد كان هو قدوة لهم فسار على رأس جيشه حتى وصل مدينة غزة والقلوب وجلة ـ وفي غـزة كانت جمـوع التتار بقيـادة « بيدر » الذي كان ينتظر لقاء قطز بأمر من كتبغا الذي أمره بحرب قطز ـ وبعث قطز طلائع قواته بقيادة ركن الدين بيبرس لمناوشة التتار واختبار قوتهم وتحصيل المعلومات ـ فالتقى بيبرس بطلائع التتار في عين جالوت بالقرب من نابلس ، وشاغل التتار حتى وافاه قطز على رأس القوات الأصلية من جيشه .

وفي يـوم الجمـعـة الخـامس والعشرين من شهر رمضان نشبت بين الجيشين معركة حاسمة ـ وقد كان التتار يحتلون مرتفعات سهل « عين جالوت » فانتصروا على جيش قطز في أول الأمر ـ وكانت طبيعة معاركهم الانقضاض عـلى الأعداء تطبيقـا لحـرب الصـاعقـة التي يمارسونها في حروبهم معتمدين على سرعة الخيل ـ وكان القتال شديدا لم ير مثله حتى قتل من الطائفتين جموع كثيرة وتغلغل التتار عمقا في مسيرة قطز فانكسرت انكسارا شنيعا ـ ولكن قطز حمل بنفسه في طائفة من جنده وأسرع لنجدة المسيرة حتى استعادت مواقعها ، وأستأنف قطز الهجـوم المضاد بقوات القلب التي كان يقودها وكـان يتقدم جنـوده وهو يصيـح « وإإسلاماه » .

واقتحم القتال وباشـره بنفسه وأبلى في ذلك اليوم بلاء عظيما ـ وكانت قـوة القلب مؤلفة من المتطـوعـين المجاهدين الـذين خرجـوا يطلبون الشهـادة ويدافعـون عن الاسلام بايمان ـ وكان قطز يشجع اصحابه ويحسن لهم الموت ويضرب لهم المثل بما يفعله من إقـدام ويبديـه من استبسـال .

وكان من ذكاء قطز أنه أخفى معظم

قواته النظامية في شعب التلال لتكون كمائن ـ وبعد أن كر بالمجاهدين مرة وأخرى تزعزع جناح التتار ، وبرز المماليك من كمائنهم وأداموا زخم الهجوم بشدة وعنف ـ وكان قطز أمام جيشه يصيح « واإسلاماه » يا الله انصر عبدك قطز على التتار ـ وكان جيشه يتبعه مقتديا باقدامه وبسالته ـ وقتل فرس قطز من تحته ـ وكاد يعرض للقتل لولا ان أسعفه احد فرسانه فنزل له عن فرسه وسارع قطز الى قيادة رجاله متغلغلا في صفوف أعدائه حتى ارتبكت صفوف التتار وشاع أن قائدهم « كتبغا » قد قتل فولوا الأدبار ـ وقد نصحه اتباعه بالهروب ولكنه قال : « الموت مع العزة خير من الهرب مع الذل والهوان » ولم يضيع المسلمون وقتا فبدأ المسلمون فورا في مطاردة التتار حتى دخل قطز دمشق في اواخر رمضان ، فاستقبله أهلها بالابتهاج واستمرت المطاردة الى قرب مدينة حلب ـ فلما شعر التتار باقتراب المسلمين منهم تركوا ما بأيديهم من أساري المسلمين ورموا اولادهم فتخطفهم الناس وقاسوا من البلاء ما يستحقون .

○ لماذا انتصر المسلمون ؟ :

ان كل الحسابات العسكرية تجعل النصر في جانب التتار ـ فقد كانت تجاربهم في الحرب طويلة ، ولم يكن لقطز ولا لقادته مثل هذه التجارب ولا ما يقاربها ، كما كان جيش التتار في عدد لا يحصيه الا الله تعالى كما يقول المؤرخون ـ كما انهم اشتهروا بالوحشية فكانوا يقتلون الرجال ويستاقون الأسرى ـ ولذلك فقد هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر الى المغرب ، كما هرب جماعات الى اليمن والحجاز والباقون بقوا في خوف شديد يتوقعون الهزيمة ـ وهكذا كانت الروح المعنوية في جيش المسلمين منهارة ـ أما التتار فلم يهزموا في معركة قط ، وقد استغل التتار حرب الاعصاب فكانوا يشيعون الشائعات المختلفة التي تؤثر في نفوس أعدائهم ـ وقد ازداد جيش التتار بالذين التحقوا بهم من المرتزقة والصليبيين بعد احتلال الشام .

كما أن جيش التتار كان يتميز بفرسانه المدربين ـ وكان تعداد فرسانه كبيرا مما يسر له سرعة الحركة وتطبيق حرب الصاعقة التي كانت من سمات حرب التتار .

ثم ان مواقع جيش التتار في عين جالوت كانت افضل من مواقع الجيش المصري ـ لأن تلك المواقع كانت محتلة من التتار قبل وصول الجيش المصري الى المنطقة حيث كانت تحت سيطرتهم ـ كما ان جيش التتار كان متفوقا في قضاياه الادارية ـ اذ انه كان يستند على قواعده القريبة في ارض الشام وهي التي استولى عليها واستثمر خيراتها ـ بينما كانت قواعد الجيش المصري الادارية بعيدة عنه ـ لانه كان يعتمد على مصر وحدها في اعاشته ، والمسافة بين مصر وعين جالوت طويلة وبخاصة في تلك الايام التي كانت القضايا الادارية فيها تنقل

على الدواب والجمال مخترقة الصحاري والقفار .

وعلى الرغم من هذا كله انتصر الجيش الاسلامي - انتصر لأنه سار في اتجاه الاسلام ، فالعلماء وعلى رأسهم العز قدموا ارشاداتهم التي نفذت بكل اخلاص وأمانة ، والشعب اتجه الى الله تعالى مستغفرا من ذنوبه طالبا من ربه النصر ، وقطز القائد كان البطل والقدوة ، وكان يتميز بالشجاعة وارادة القتال والتصميم على محاربة التتار مهما كلفه ذلك - فليس امامه الا النصر او الاستشهاد ، وحين اطمأن الى نصر الله لم يأخذه الغرور - بل ترجل عن فرسه ومرغ وجهه في التراب وسجد شكرا لله على ما أولاه من نصر باهر ، وحمد الله وأثنى عليه ثناء عاطرا .

ولاول مرة في تاريخ الزحف المغولي الذي امتد نصف قرن يخرج اليهم شعب ليقاتلهم قبل ان يصلوا اليه ، وينتصر عليهم انتصارا ساحقا - وهم القوة الجبارة التي اعتادت ان تستسلم لها الشعوب قبل ان يصلوا اليها .

○ خاتمة :

يقول « دي ميستيل » تعليقا على هذه المعركة « وهكذا نرى الاسلام الذي اشرفت قوته على الزوال يستعيد قوته ويصبح اشد خطرا من ذي قبل » .

وقد بدأت بعد ذلك . دعوة الاسلام تنتشر فجأة بين افراد هذا الشعب ويتحقق على ايدي دعاة الاسلام دخول هؤلاء في الاسلام - اذ بدأ حبه يتسرب الى نفوسهم حتى دخلوا في دين الله افواجا بعد ان فعلوا ما فعلوا بالمسلمين .

لقد نشأ التتار على حياة الهمجية وفتحوا بلاد المسلمين ، وقتلوا منهم من قتلوا وشردوا من شردوا - ومع ذلك فقد دخلوا في الاسلام وهم في ذروة قوتهم وسلطانهم ، وهذا من العجائب التي لا تحدث الا بالنسبة للاسلام ، اذ ان العادة قد جرت على ان يعتنق المغلوب دين الغالب . ولكن الاسلام غير ذلك .

وقد توزعت مملكة جنكيز خان بعد وفاته الى اربعة فروع - وبدأ الاسلام ينتشر في هذه الفروع الاربعة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى كان التتار قد اسلموا جميعا .

وقد كان اول من اسلم منهم بركةخان ١٢٥٦/ ١٢٦٢ م ، وكان رئيسا للقبيلة الذهبية في روسيا ، وسبب اسلامه انه تلاقى يوما مع عير للتجار آتية من بخاري - ولما خلا بتاجرين سألهما عن اعتناق هذا الدين والاخلاص له - وقد كان أصغر اخوته .

ان الاسلام يملك اكبر قوة ، ويتمتع بأكبر موهبة في كسب الانصار ، وقد اسلم التتار وبرز فيهم عدد كبير من العلماء والفقهاء والمجاهدين والدعاة الربانيين واهل الصدق ، ادوا دورهم في حماية الاسلام في ظروف دقيقة ولحظات عميقة في التاريخ .



للدكتور / محمد زكي عبدالبر

يلفت النظر الآن ميل كثير من النساء المسلمات إلى التسمي باسم اسرة زوجها باضافة اسمها الى لقب زوجها تاركة لقبها هي اي اسم اسرة ابيها ، لدوافع لعل في مقدمتها شهرة الزوج او حب الناس له وخمول الاب او كره الناس له الى غير ذلك من البواعث .. ونحن ننبه الى ان هذا خطأ فاحش لا يقره الاسلام ، ولو جاز لكان اولى به امهات المؤمنين رضي الله عنهن وكن زوجات لخير خلق الله ، ولكنهن لم يفعلن واحتفظن باسمائهن واسماء آبائهن . قال الله تعالى : (**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق**

وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما . النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم) .
الاحزاب / ٤ ـ ٦ .
وجدير ان نبين سبب نزول هذه الآيات الكريمة ثم المراد منها

اولا ـ سبب النزول

كانوا في الجاهلية وأول الاسلام يقرون التبني ، وهو أن يتبنى الرجل ولد غيره ، فكان الرجل إذا أعجبه من الرجل جلده وظرفه ضمه ونسبه الى نفسه فيقال : فلان ابن فلان ، وجعل له من ميراثه نصيب الذكر من أولاده ، وحرم عليه نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها ، أي أن المتبني كان يأخذ ـ فوق النسب ـ حكم الولد من حيث الميراث ومن حيث حرمة النكاح .
وجريا على هذا العرف تبنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل المبعث ، زيد بن حارثة ، فكان يقال له « زيد ابن محمد » الا انه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نزل القرآن الكريم يحرم التبني ، فصار يدعى « زيد بن حارثة » قال القرطبي (١٤ ، ١١٨ ـ ١١٩) « اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل في زيد بن حارثة » .
وقصة زيد هذه جديرة بالذكر لنزول القرآن الكريم فيه .
كان زيد فيما روى عن انس بن مالك وغيره ، مسبيا من الشام ، إذ كانت العرب في جاهليتها يغير بعضهم على بعضهم ويسبى ، وكان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أخواله بني معن من بني ثعل من طيء فأصيب في غلمة من طيء ، فقدم به سوق عكاظ ، وكان حكيم بن حزام بن خويلد قد انطلق الى عكاظ يتسوق بها وقد أوصته عمته خديجة رضي الله عنها أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا إن قدر عليه . فلما جاء حكيم الى عكاظ وجد زيدا يباع فيها فأعجبه ظرفه فابتاعه فقدم به عليها وقال لها : إني قد ابتعت غلاما ظريفا عربيا فإن اعجبك فخذيه والا فدعيه فانه قد اعجبني ، فلما رأته خديجة رضي الله عنها اعجبها فأخذته . ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب النبي صلى الله عليه وسلم ظرفه فاستوهبه منها فقالت « هو لك ، فإن أردت عتقه فالولاء لي » فأبى عليها ، فوهبته له : ان شاء اعتق وان شاء امسك ، فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان زيدا خرج في ابل لأبي طالب الى الشام فمر بأرض قوم فعرفه عمه فقام اليه فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : غلام من اهل مكة : قال : من انفسهم ؟ قال : لا ، قال : فحر انت او مملوك ؟ قال : بل مملوك .

قال لمن ؟ قال : لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : أعربي انت ام اعجمي ؟ فقال : بل عربي - قال : فمن اهلك ؟ قال : من كلب . قال من أي كلب ؟ قال : من بني عبدود قال : ويحك ! ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل ، قال : وأين اصبت ؟ قال : في اخوالي . قال : ومن اخوالك ؟ قال : طيء ، قال : ما اسم امك ؟ قال : سعدى - فالتزمه وقال : « ابن حارثة » ودعا أباه وقال : يا حارثة ! هذا ابنك ، فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه . قال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثرني على أهله وولده ، ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت ، فركب معه أبوه وعمه وأخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له حارثة : يا محمد ! انتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته : تفكون العاني وتطعمون الاسير : ابني عبدك فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومه ، فانا سنرفع لك في الفداء ما احببت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعطيكم خيرا من هذا ، قالوا : وما هو ؟ قال : اخيره : فان اختاركم فخذوه بغير فداء ، وان اختارني فكفوا عنه . قالوا : جزاك الله خيرا فقد احسنت . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا زيد ! اتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا ابي وعمي واخي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا من عرفته ، فان اخترتهم فاذهب معهم ، وان اخترتني فانا من تعلم . فقال زيد : ما انا بمختار عليك احدا ابدا ، انت مني بمكان الوالد والعم ، قال له ابوه وعمه : يا زيد ! تختار العبودية على الربوبية ؟ قال : ما انا بمفارق هذا الرجل . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه واختياره الرق معه على حريته وقومه قال عند ذلك : « يا معشر قريش ! اشهدوا انه حر وانه ابني يرثني وأرثه » وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك . فطابت نفس ابيه وعمه لما رأوا من كرامته عليه وانصرفا . وقد رباه النبي صلى الله عليه وسلم كالأولاد واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب . ولم يزل زيد يدعى « زيد بن محمد » في الجاهلية وفي بدء الاسلام حتى نزل القرآن الكريم : (**ادعوهم لآبائهم**) فدعى « زيد ابن حارثة » ومن ذلك ما جاء في كلام ابن عمر رضي الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنا ندعوه الا زيد ابن محمد حتى نزل القرآن الكريم : (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انت زيد بن حارثة بن شراحيل .

وكذلك حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، وكان ممن شهد بدرا ، تبنى سالما وانكحه ابنة

اخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار فكان يسمى « سالم ابن ابي حذيفة » .

وكذلك كان عامر بن ربيعة يقال له : عامر بن الخطاب واليه كان ينسب وكذا المقداد بن عمرو البهراني : كان يدعى : المقداد بن الاسود وغير هؤلاء ممن تبنى وانتسب إلى غير أبيه ، فانزل الله في زيد بن حارثة وفي سالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن عمرو ، (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) فردوا الى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين .

ولما كان زيد يدعى زيد ابن محمد قال الله تعالى : (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**) الأحزاب / ٤٠

ثانيا : جملة المراد بالآية الكريمة

(وما جعل أدعياءكم أبناءكم)

ادعياء جمع دعي ، فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يدعى ولدا ويتخذ ابنا اي المتبنى . والمقصود ما جعل الله من ادعيت انه ابنك ، وهو ابن غيرك ، ابنك بدعواك اي ما جعل الله الدعوة والبنوة في رجل لان الدعوة عرض والبنوة اصل في النسب ، ولا يجتمعان في الشيء الواحد .

اي ما جعل ادعياءكم أبناءكم حقيقة في حكم الميراث والحرمة والنسب .

فهو رد ما كانوا يزعمون من أن دعى الرجل ابنه ، فيجعلون له من الميراث مثل نصيب الذكر من أولادهم ، ويحرمون نكاح زوجه اذا طلقها او مات عنها .

(ذلكم)

اي دعاؤكم الدعى بقولكم « هذا ابني » مجرد قول لا حقيقة لمدلوله ، اذ لا يواطىء اللفظ الاعتقاد ، إذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه .

(قولكم بأفواهكم) :

اي دعاء الرجل من ليس بابنه انه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم أي لا معنى ولا حقيقة له في الاعيان ، يعني انه لا حكم له ، فتبنيكم لهم قول لا يقتضى ان يكون ابنا حقيقيا ، فانه مخلوق من صلب رجل آخر ، فلا يمكن ان يكون له ابوان ، كما لا يمكن ان يكون للبشر الواحد قلبان ، فلا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته فهو كقول الهازل اذ هو بمعزل عن احكام البنوة كما زعموا .

(والله يقول الحق)

اي الله هو الصادق الذي يقول الحق اي العدل . وهو ما يوافق ظاهرا وباطنا أي الكلام المطابق

للواقع ، لأن الحق لا يصدر الا من الحق . وهو ، ان غير الابن لا يكون ابنا . اي : الله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه .

(وهو يهدي السبيل)

أي يبين لعباده سبيل الحق ويرشدهم الى طريق الرشاد والصراط المستقيم لا غير وهو قوله : **(ادعوهم لآبائهم)** أي فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله هذا . والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وما فيه سهولة :

(ادعوهم لآبائهم)

اي انسبوهم الى آبائهم . ووقوع اللام للاستحقاق . يقال : فلان يدعى لفلان أي ينسب اليه .

وقد وردت « ادعوهم » بصيغة الامر « افعل » وجمهور الفقهاء على ان الاصل في الامر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بوصفهما مبينين لشرع الله تعالى ان يكون للوجوب اي الطلب على وجه اللزوم والحتم ، بحيث يثاب المكلف على فعله ويأثم إذا تركه لانه طلب على جهة الاستعلاء ، اذ هو من الخالق للمخلوق ، الا اذا قامت قرينة على انه يراد غير ذلك ، والظاهر لنا انه لم تقم قرينة على انه يراد غير الوجوب .

فالحكم اذن هو الوجوب اي وجوب النسبة والعزو الى الآباء بحيث يثاب المكلف على فعل ذلك ويعاقب على تركه .

(هو) :

اي دعاؤهم لابائهم أو دعاؤكم إياهم لآبائهم .

والضمير في « هو » عائد على المصدر المفهوم من قوله « ادعوهم لآبائهم » اي « دعاؤهم لآبائهم » كما في قوله تعالى : **(اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة / ٨ .

(أقسط عند الله)

القسط بالكسر العدل . يقال أقسط الرجل إذا عدل . واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة المطلقة . والمعنى بالغ في العدل والصدق . وفي كشف الأسرار : هو اعدل واصدق واصوب من دعائهم إياهم لغير آبائهم .

ولا يراد هنا ـ والله أعلم ـ تفضيل هذا على ذاك ، بل الانفراد بالقسط من غير مشارك فيه ، يؤكد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام » متفق عليه وقوله : « ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر » رواه احمد وقوله في خطبة حجة الوداع : « من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ص ٢٥٣ وهذا تشديد وتهديد ووعيد اكيد في التبرى من النسب المعلوم .

(فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم)

امر سبحانه وتعالى ان يدعى المتبني لابيه ان علم . وتطبيقا لهذا قالوا : زيد بن حارثة فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى ولائه . ولذلك قالوا : سالم مولى ابي حذيفة بعد ان كانوا يسمونه سالم بن ابي حذيفة لتبني ابي حذيفة له .

فان لم يكن له ولاء معروف : قالوا له : يا اخي يعني في الدين ـ قال الله تعالى : (**انما المؤمنون اخوة**) الحجرات / ١٠ وهذا بطبيعة الحال يعني من اسلم منهم . أي فان لم تعلموا آباءهم فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية فيه (**اي في الدين**) فقولوا : هذا اخي . وهذا مولاي بمعنى الاخوة والولاية في الدين ـ فهو من الموالاة والمحبة ، فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف تقديره اخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين يعني من اسلم منهم .

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به)

أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ عن غير تعمد .

(ولكن ما تعمدت قلوبكم)

اي ولكن الاثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء الى غير آبائهم ، مع علمكم بذلك قال قتادة : لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه ، لم يكن عليك بأس وقال ابن كثير : « فاما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية » .

(وكان الله غفورا رحيما)

اي يغفر للمخطىء ويرحمه ويتجاوز عنه او غفورا للذنوب رحيما بالعباد .. ومن جملة من يغفر له ويرحمه من دعا رجلا لغير أبيه خطأ او قبل النهي عن ذلك .

وخلاصة ذلك أن الابن يدعى الى أبيه إن عرف فان لم يعرف ابوه فالى مولاه ان عرف ، فان لم يكن له مولى او لم يعرف ـ فضلا عن عدم معرفة الاب ـ فالى الاخوة والولاية في الاسلام . ويأثم من يخالف ذلك . ويستوي في ذلك الذكر والأنثى . فلا يجوز أن تنتسب المرأة الى غير ابيها . وهو ما قصد أصلا بيانه في هذا المقال .

وغني عن البيان أن قصة زيد بن حارثة التي أتينا عليها فيما سبق ، لها دلالات كثيرة لا تخفي على القارىء منها كمال خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الخلق الذي جعل زيدا يؤثر العبودية عنده على الحرية مع أبيه ، وخلق الوفاء عند زيد رضي الله عنه ، والإسراع في تنفيذ حكم الله عن طواعية واختيار .



للأستاذ / محمد عبدالله السمان

الوحدة التي تجاهلناها :

لبثت الدعوة في مكة ثلاث عشرة سنة من أجل إرساء العقيدة ، لأنها بمثابة الأساس للبناء الذي كان مقدرا له أن يقوم في المدينة ، وهذا البناء يعني الدولة الاسلامية الناشئة ، ولكن بكل عناصرها ومقوماتها ، وقبل أن يعرف القانون الدولي الوضعي الحديث هذه العناصر والمقومات الأساسية عرفها الاسلام منذ نشأته . .

إن هذه العناصر تشمل : الأرض ، والشعب ، ثم نظام الحكم ، وقد توافرت هذه العناصر كلها في الدولة الاسلامية الناشئة في يثرب ، وزاد الاسلام إليها عنصرا رابعا ، هو عنصر العقيدة ، هذا العنصر لم يبرز إلا مؤخرا ، أضفوا عليه مصطلحا حديثا ، أطلقوا عليه لفظة « أيديولوجية » كما في الدول الاشتراكية ، وشتان بين هذه وتلك ،

فالعقيدة الاسلامية تمثل كيان المسلم بأسره ، تربطه بالخالق - عز وجل - وتربطه بالأمة االمسلمة أينما وجد ، وحيثما كان ، أما « الايديولوجية » في النظم الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فهي مجرد نزعة مؤسسة على الصراع الطبقي ، وقد فرضت فرضا بقوة السلطة .

ومن منطلق العقيدة - كعنصر أساسي من عناصر الدولة المسلمة - تتجلى فكرة الوحدة الاسلامية ، التي تشمل الأرض والشعب والنظام ، بالنسبة للأرض لا حدود وهمية أو حقيقية بين بلد مسلم وآخر ، فالأرض الاسلامية كلها دار الاسلام ، وبالنسبة للشعب ، لا فوارق في الجنس أو اللون ، لا مانع أن ينتمي المسلم إلى مسقط رأسه ، لكن انتماءه الأكبر الى الاسلام ، وبالنسبة للنظام ، لا تبعية للشرق أو الغرب ، وإنما التبعية للاسلام ، ولا يفهم من ذلك أن وحدة النظام تعني أنه نظام مغلق لا يسمح بالانفتاح على غيره من النظم الحديثة الوضعية التي لاتكن للاسلام عداء ، ولا يقبل التطور بحال من الأحوال ، بينما تعني وحدة النظام وحدة الجوهر ، بمعنى أنه نظام يستمد من الاسلام جوهره لا شكله ، والجوهر يعني المبادىء العامة التي اقرها الاسلام في مجال السياسة : الداخلية والخارجية ، خذ مثلا مبدأ « الشورى » إنه مبدأ عام مقرر في الاسلام ، فالمهم أن توجد الشورى ، وليس أسلوبها ، ومثلا آخر ، مبدأ « العدل الاجتماعي » فالمهم أن يتحقق العدل الاجتماعي ، وليس الشكل الذي يتحقق به ، لأن الجوهر ثابت خالد ، أما الاسلوب والشكل ، فيخضعان لتطور الحياة نفسها . .

● الحقيقة تتحول الى ذكرى :

لاشك أن الوحدة الاسلامية حقيقة لا تقبل الجدل بحال من الأحوال ، وقد ظلت كذلك عدة قرون ، وهي من صميم الاسلام ، بل من منطلق العقيدة التي هي أساس البناء الاسلامي ، وهذه الوحدة لا تقوم على وحدة المشاعر والأحاسيس - فحسب - بل هي وحدة عملية حركية تعاونية ، وكون هذه الحقيقة قد تحولت اليوم إلى مجرد ذكرى ، بأيدينا نحن - المسلمين - لا بيد عمرو أو زيد ، فهذا لا يمس الحقيقة من قريب أو بعيد ، والحقيقة أن أمة الاسلام أمة واحدة . .

إن المنتمين إلى الاسلام هم المسلمون أو المؤمنون ، وإطلاق هذا اللفظ أو ذاك ، لم يكن اعتباطا ، بل هو ذو مغزى ، ليدرك كل مسلم أن انتماءه الأكبر إنما هو لدينه ، وفي كتاب الله عز وجل ، عشرات الآيات توجه الخطاب إلى المؤمنين بـ « **ياأيها الذين آمنوا** ..» وليس في كتاب الله آية واحدة توجه الخطاب بـ « ياأيها المسلمون .... لماذا ؟

لأن إيمان المسلم يذكره دائما بأخوة الاسلام التي تربط بينه وبين إخوته في أي مكان ، والتي عبر عنها

القرآن بقوله : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات / ١٠ كما أوضح رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مدلول هذه الأخوة ، حين قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه مسلم وحين قال : « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » رواه مسلم

وإذا كان مما لا مراء فيه قيام دولة في الاسلام وللاسلام والمسلمين ، ابتداء من الهجرة النبوية ، فالذي لا مراء فيه كذلك أن وحدة الأمة االمسلمة : أرضا وشعبا ونظاما أصل من أصول الاسلام يستمد وجوده من عقيدة الاسلام ، ولقد عبر القرآن عن ذلك بهذه الآية الكريمة : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الانبياء / ٩٢ فقد ربطت الآية الكريمة بين وحدة الأمة والعقيدة ، برباط غير قابل للانفصام . .

ولكن مما يدعو إلى الأسى المرير ، أن هذه الوحدة قد تحولت فيما بعد لدى المسلمين إلى تاريخ وذكرى ، والذي يثير ماهو أشد من الأسى المرير ، أننا نحن ـ المسلمين ـ اليوم نجتر هذا التاريخ وكفى ، ونحتفل بالذكرى ـ ذكرى الهجرة التي مهدت لتأسيس دولة الاسلام وأعلنت وحدة الأمة المسلمة ـ دون أن يمر بأذهاننا ، أو يطوف بخواطرنا ، أننا نحن الذين قوضنا الدولة ، ومزقنا الوحدة ،ورضينا لأنفسنا أن تفقد الأمة ذاتيتها ، وتدين بالتبعية لغيرها .

○ الوحدة حقيقة وواقعا

إن الوحدة الاسلامية حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها فضلا عن تجاهلها أو إنكارها ، لكن هذه الوحدة كانت فيما مضى واقعا ثم أسدل عليه ستار التاريخ ، وهذا هو الفرق بين الحقيقة والواقع ، فالحقيقة خالدة ما بقيت السموات والأرض ، أما الواقع فغير خالد ولا ثابت ، لأنه قابل للتطور والتغيير ، ولأن الحقيقة من صنع الله ، أما الواقع فنحن نصنعه بأيدينا ، فالقرآن مثلا حقيقة ، بل حقيقة خالدة ، لكن تطبيقه يظل في إطار الواقع ، والاسلام ـ كما يقول الشهيد سيد قطب ـ **منهج إلهى للحياة البشرية** ، لكن تحقيق هذا المنهج إنما يتم في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم . »

لنبدأ الحديث عن الوحدة الاسلامية ـ كحقيقة ـ ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الاسلام ـ كمنهج إلهى عام للبشرية قاطبة ، وللأنسانية جمعاء ـ لم يقتصر على الدعوة إلى الوحدة الاسلامية ـ فحسب ـ بل الدعوة إلى الأخوة الانسانية ، والأخوة الدينية ، ثم الأخوة الاسلامية في خاتمة المطاف ، هذا ما يقرره منهج الاسلام ، ويوضحه لنا عالم جليل فقدناه بالأمس ، ونفتقده اليوم ،هو الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله :

« إن الاسلام دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية . . فإذا كان شعار الاسلام الخالد إلى يوم القيامة هو وحدانية المعبود ، ووحدانية الخالق ، ووحدانية الذات الالهية :(**ليس كمثله شيء**)فكذلك أحكام الاسلام كلها تتجه نحو الوحدة الانسانية لا فرق بين جنس وجنس ، ولا لون ولون : « كلكم لآدم وآدم من تراب : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣ كذلك يقرر الاسلام الوحدة الدينية في أكمل مظاهرها ، فهو يقرر أن الرسالة الالهية واحدة . . . وإذا كان ابراهيم ـ عليه السلام ـ أبا للأنبياء في عهود الرسالة الالهية من بعد نوح ـ عليه السلام ـ فإن القرآن يذكر في أكثر من آية أنه يدعو إلى ملة ابراهيم : (**وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**) الحج / ٧٨ وإذا كان الاسلام دين الوحدة في الرسالة الالهية ، والوحدة في الانسانية ، فإنه من المؤكد دعا إلى الوحدة بين الذين آمنوا به ، ولم يرتابوا ، واتبعوا أوامر الاسلام في كل أمر جامع لوحدتهم ، واعتبرهم إخوة فيما بينهم . »

إن الاسلام بهذه الوحدة ، يهدف الى أن يكون للمسلمين أمة ذات شخصية مستقلة متميزة ، إذن فالوحدة هي المحور الذي يرتكز عليه بناء الأمة المسلمة ، وهذه الوحدة ليست مجرد واجب ، بل هي فرض عيني لأن أرباب العقيدة الواحدة ـ كما يقول الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ـ يجب أن يكون كتلة واحدة متماسكة ، ويدا واحدة عاملة تربط العقيدة بين قلوبهم والأخوة بين عواطفهم » .

ونعود فنكرر أن فرضية الوحدة لأنها من منطلق العقيدة ، وبدون رابطة العقيدة .. لا أمة .. وأية آصرة غير آصرة العقيدة ، كالجنس أو النسب أو الأرض . . لا علاقة لها بجوهر الانسان ، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الانسان ، ويقول لنا الشهيد **سيد قطب** : « إن آصرة التجمع هي العقيدة ، لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الانساني ، فأما إذا انبتت هذه الوشيجة ، فلا آصرة ولا تجمع ، ولا كيان . . إن الأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها ، وهي جنسيتها ، وإلا فلا أمة ، لأنه ليست هناك آصرة تجمعها .. والأرض ، والجنس ، واللغة ، والنسب ، والمصالح المادية القريبة ، لا تكفي واحدة منها ، ولا تكفي كلها لتكوين أمة ، إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة »

هذه هي حقيقة الوحدة الاسلامية ، التي كتب لها الخلود لأنها من صنع الله ـ عز وجل ـ أما الوحدة الاسلامية واقعا ، فقد رافقت الدولة المسلمة منذ تأسيسها في يثرب ، وظل هذا الواقع قائما حيا ، في

عصر النبوة وعصور الخلفاء الراشدين ، وشطرا كبيرا من عصر الأمويين ، ثم تعرض هذا الواقع للاهتزاز حتى وصل الى مرحلة الانهيار كنتيجة لعاملين رئيسيين : ضعف العقيدة لدى الرعية والرعاة ، وضعف العقيدة لدى الرعية أدى الى السلبية المطلقة ، وضعف العقيدة لدى الرعاة أدى الى الأهواء المطلقة كذلك ؛ أما العامل الآخر ، فهو تقصير علماء الدين ، حيث انهم تجاوبوا مع سلبية الرعية ، واسترخوا لأهواء الرعاة ، صحيح أن التاريخ قد سجل لبعض العلماء مواقف مجيدة ، ولكنها كانت مواقف فردية تلاشت في خضم السلبية لدى الرعية والأهواء لدى الرعاة .. !

○ الوحدة بين المخاوف والعقبات :

يقول القس سيمون نقلا عن كتاب : « كيف هدمت الخلافة » :

« ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب الاسلامية . وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية .. والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة .. من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية » .

ويقول المبشر لورنس براون :

يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير »

ويقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي :

« أن الوحدة الاسلامية نائمة .. لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ . »

هؤلاء هم أعداء الاسلام ، ولا غرابة في أن يبدوا مخاوفهم ، ويملأ الرعب صدورهم من يقظة الوحدة الاسلامية ، ويعملوا جهد استطاعتهم بالتخطيط والتآمر للحيلولة دون أن تقوم لهذه الوحدة قائمة ، ويتمثل هؤلاء الأعداء في الصليبية ، والشيوعية ، والهندوكية ، والصهيونية على وجه أخص ، ومهما اختلفت هذه الأنماط سياسة أو فكرا أو حتى عقيدة ، فانها متفقة تماما على مواجهة الاسلام ، متعاونة تعاونا كاملا خطة وتنفيذا على ضرب الاسلام في معاقله حتى يظل عاجزا عن الحركة ..

هذا أحد المبشرين يقول :

« ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية » .

وهذا محرر احدى الصحف الشيوعية يقول :

« من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام »

وهذا الصهيوني الوقح بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ، يقول :

« ان أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد » .

وهذا المبشر لورنس براون يصرح بقوله :

« كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل تلك المخاوف .. كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني ، والخطر البلشفي .. لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا ، والبلاشفة الشيوعيين حلفاؤنا .. أما اليابانيون فان هناك دولا جغرافية كبيرة تتكفل بمقاومتهم .. لقد وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الاسلام .. » .

قلت : لا غرابة في موقف أعداء الاسلام بكل فئاتهم من بعث الوحدة الاسلامية ، ولكي نكون صرحاء مع أنفسنا ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا ، أن المسلمين أنفسهم هم الذين قضوا على هذه الوحدة بأيديهم ، وقبل أن يتسلل الاستعمار الى ديارهم ، صحيح أن دور الاستعمار كان ـ وما يزال ـ قاصرا على الحفاظ على الشلل الذي أصاب الوحدة وأعجزها عن الحركة ، ولكن ما كان في استطاعة الاستعمار أن يفعل شيئا ، لو لم يكن كل شيء ممهدا له ..

ولكن أليست لدى الأنظمة في ديار المسلمين مخاوف من قيام الوحدة الاسلامية ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال بالنفي لا تصدر الا عن جاهل أو متجاهل ، بيد أن هناك فرقا بين تلك المخاوف لدى الأعداء ، وبين هذه المخاوف لدى أنظمتنا ، فمخاوف أولئك مبعثها الحقد على الاسلام ، أما مخاوف هؤلاء فمبعثها الأهواء ، وحب السلطان والجاه ، ولا مانع من أن تتظاهر بعض الأنظمة برفع شعار الوحدة الاسلامية ، حتى ما كان منها معلنا حرب الابادة على الحركة الاسلامية وأتباعها في داخل سلطانه ، لكن رفع الشعارات شيء ، والنوايا شيء آخر ..

يقول الشيخ محمد أبوزهرة :

« ان الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين ، ولا شكل الحكم في الأقاليم الاسلامية ، فلكل اقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي الى اقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المعاني الاسلامية السامية ، وانما معنى الجامعة الاسلامية أن نعتبر أنفسنا ـ مهما تناءت الديار مرتبطة بروابط وثيقة ، تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، وهي أحكام الاسلام وشعائره ، وعبادته وعقائده » ان ما يقوله الشيخ ـ رحمه الله ـ هو مفهوم الوحدة لدى سائر الداعين الخلص اليها ، ولكن المهم أن تقتنع الأنظمة ، التي جعلت من أهوائها سدا منيعا يحول دون الاقتناع بمنطق صريح أو حق جلي ..

ولا جدال في أن مجرد التفكير في احياء الوحدة الاسلامية يواجه عقبات كأداوات ، ومثل هذه العقبات تخطط لها القوى المعادية للاسلام ، بدافع من الخوف الذي زرعه الحقد في صدورها ، وتشرف على هذه المخططات في مجال التنفيذ الأنظمة في ديار المسلمين ، بدافع من الخوف الذي يسيطر على قلوبها ومشاعرها .. والذي جعلها تتوهم ضياع جاهها اذا قامت الوحدة الاسلامية .

مخططات المؤامرة عليها

○ **في وجه الطوفان :**

ان اخشى ما يخشاه اعداء الاسلام من الشرق والغرب ، هو ان تقوم قائمة للوحدة الاسلامية ، واذا كان الفزع يملأ نفوسهم حتى من مجرد التفكير الجاد في قيامها وبعثها من جديد فإن اليقظة تملأ ادمغتهم وعقولهم ، حتى لا يؤخذوا على غرة ، وهم لا يقفون عند حدود اليقظة والحذر ، بل انهم يخططون وينسقون ويرسمون ، ويرصدون كل نشاط اسلامي يمكن ان يثير فكرة الوحدة الاسلامية في اذهان المسلمين ..

هؤلاء الاعداء يجترون احقادهم احيانا ، تنز بها اقلامهم ، او تتفوه بها السنتهم ، لقد صرح مورو بيرجر في مؤلف له بقوله : ان خوفنا من العرب واهتمامنا بالامة العربية ليس بسبب وجود البترول عندهم بغزارة وانما بسبب الاسلام .. يجب محاربة الاسلام والتصدي له ، للحيلولة دون وحدة العرب ، التي تؤدي الى قوة العرب .. لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام ، وعزته وانتشاره » .

ولك ان تتصور - على سبيل المثال - ان ابشع ديكتاتور في العصر الحديث كان اعجز من ان يكتم حقده على الاسلام انه سالازار ، ديكتاتور البرتغال الذي هلك منذ سنوات صرح بقوله : « ان الخطر الحقيقي على حضارتنا ، هو الذي يمكن ان يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم ..

وعندما سأله احد الصحفيين في المؤتمر « لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ، ونزاعاتهم » فأجاب : اخشى ان يخرج منهم من يوجه خلافاتهم الينا » .

ولا غرابة في ان يكون الطوفان وارداً الينا من خارج ديارنا ، لان وراء هذا الطوفان اعداء الاسلام والمسلمين ، ومهما اخلصنا النوايا لهم ، ورفعنا الراية البيضاء ايذانا منا باننا نريد التعايش السلمي معهم ، فانهم ماضون في سياستهم العدوانية علينا ، السياسة التي يصوغها الحقد الدفين ، وبالرغم من ان الحروب الصليبية العسكرية قد انتهت منذ قرون ، وبالرغم من انهم كانوا هم البادئين بالعدوان علينا ، الا ان الحروب الصليبية السياسية والفكرية ما تزال مستمرة ، ان « أيوجين رستو » رئيس قسم التخطيط في وزارة خارجية الولايات المتحدة والذي ظل مستشارا لشؤون الشرق الاوسط للرئيس الاسبق جونسون حتى سنة ١٩٦٧م ، هذا الرجل قال :

« يجب ان ندرك ان الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول او شعوب .. بل هي خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطى .. وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة .. ومنذ قرن ونصف .. خضع الاسلام لسيطرة الغرب .. وخضع التراث الاسلامي للتراث المسيحي .

ولا مجال هنا للرد على ترهات هذا الاميركي الآفن .. لان الاسلام ليس هو الذي خضع لسيطرة الغرب ، بل بعض الانظمة العميلة ، كما ان التراث الاسلامي ليس هو الذي خضع للتراث المسيحي ـ ان كان للمسحية تراث ذو اهمية ـ بل ان التراث الاسلامي تعرض ـ وما يزال يتعرض ـ لحملات التشويه ، من قبل المبشرين والمستشرقين ، ودوائر المعارف الغربية والشرقية .. وحسبنا بعد ذلك اعتراف هذا الاميركي بان الصراع مستمر حتى هذه اللحظة .. ولكن بصور مختلفة ، وفي هذا رد على اولئك الذين يرون ان نحسن الظن .. ونرحب بفكرة اللقاء الاسلامي المسيحي ، أو التقارب الاسلامي المسيحي ..

○ **خطوات التنفيذ** :

من المؤكد ان اعداء الاسلام يحسبون الف حساب لفكرة الوحدة الاسلامية ، بل حتى للوحدة العربية باعتبارها منطلقا الى الوحدة الاسلامية الشاملة ، كان الافغاني اول داعية في العصر الحديث الى ضرورة بعث الوحدة الاسلامية ، فهل تركه الاستعمار وشأنه ؟ لم يدعه يستقر في بلد ، حاك له المؤامرات ، ودس بينه وبين بعض الحكام المسلمين ، وبتخطيط من الاستعمار دس له السم في دار الخلافة الاسلامية ، فاراح واستراح ..

لقد بدأ الاستعمار الصليبي يغزو ديار المسلمين منذ اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، وقد سبقته الارساليات التبشيرية تمهد له ، حتى اذا تمكن زادت كثيرا من نشاطها وتحدياتها في ظل حمايته ، ومما يحز في النفس ، ان كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا حين تعرض للاستعمار تشير الى دوافعه او اهدافه وتتجاهل ـ عن عمد ـ الدوافع أو الاهداف الجوهرية ، وفي مقدمتها السيطرة على بلاد المسلمين وارهاق شعوبها ، وتحطيم الروح المعنوية الاسلامية فيها ، بل وتحطيم كل امل في ان تقوم قائمة لوحدة المسلمين .. تتجاهل كتب التاريخ التي ندرسها في مدارسنا ، ان الاستعمار الغربي الصليبي ليس الا امتدادا للحروب الصليبية وانه كان يتحرك حاملا معه عقيدته الصليبية ..

يقول « باترسون سميث » لقد باءت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثا خطيرا وقع بعد ذلك .. حينما بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، فانتصرت هذه المرة .. ان حملة .. اللنبي على القدس خلال الحرب العالمية الأولى .. كانت هي الحرب الصليبية الثامنة والأخيرة .

ومسيو « بيدو » وزير خارجية فرنسا ، يصف احتلال المغرب العربي ، بانها معركة بين الهلال والصليب وعلى اثر سقوط القدس في ايدي الصهاينة في معركة عام ١٩٦٧ ، صرح « راندولف تشرشل » بقوله :

« لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين

واليهود على السواء .. بل ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .. ان القدس خرجت من ايدي المسلمين الى الابد .. ولن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود » .

واذا كان الاستعمار الصليبي اولى الخطوات التنفيذية للحيلولة دون ان تقوم للاسلام والمسلمين قائمة ، فان الخطوة الثانية كانت القضاء على الخلافة الاسلامية ، ومهما قيل عن سلوك اواخر السلاطين ـ ومعظمه اختلاق وافتراء اسهمت فيه وسائل الاعلام التي يملكها الاستعمار فان الخلافة الاسلامية كانت رمزا ـ على الاقل ـ يعيش في وجدان كل مسلم ، والذي يثير كوامن الاسى ، اننا نحن ـ المسلمين ـ أسهمنا في مأساة الخلافة الاسلامية قولا وعملا ، لقد اعتبرنا العهد العثماني عهد استعمار يجب التخلص منه ، وفي كتب التاريخ التي وضعت مناهجها تحت اشراف الاستعمار لتدرس في مدارسنا ، شوه تاريخ الخلافة ، حتى تنفر من مجرد اسمها الاجيال الجديدة ، بل وما هو ابعد من ذلك ، استغلال المسرح والسينما والاذاعة والشاشة الصغيرة في تشويه صورة الخلافة الاسلامية ، والتنديد بها والتهكم عليها ، والاشادة بكمال اتاتورك ، الذي كان صنيعة الماسونية العالمية ، ومن ورائها الصهيونية والصليبية معا .

في الحرب العالمية الأولى احتلت قوات انجلترا وفرنسا ، وايطاليا واليونان ، أراضي الدولة العثمانية باعتبار أن تركيا كانت حليفا لألمانيا ، وفي مؤتمر «لوزان» للصلح اشترطت انجلترا ـ مقابل الانسحاب ـ أن تلتزم تركيا بتنفيذ عدة شروط منها :

أولا ـ الغاء الخلافة الاسلامية ، وطرد الخليفة ومصادرة أمواله ..

ثانيا ـ أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام ..

ثالثا ـ أن تتعهد تركيا باخماد أية حركة يقوم بها أنصار الخلافة ..

رابعا ـ أن تختار تركيا لها دستورا مدنيا بعد الغاء دستورها الاسلامي ..

والعجيب أن أتاتورك بعد أن قام بتنفيذ كل الشروط بحذافيرها ، اعترضت المعارضة في مجلس العموم البريطاني على اعتراف انجلترا باستقلال تركيا ، ووجهة نظر المعارضة ، أن تركيا المستقلة قد تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى ، وقال «كرزون» وزير خارجية انجلترا يومئذ ، قال في رده على المعارضة : « لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين : الاسلام والخلافة » .

○ ثم إعداد البدائل :

لم يغب عن أذهان الذين خططوا للحيلولة دون بعث الوحدة الاسلامية ، وقد تم لهم تمزيق الأمة الى دول ودويلات عن طريق الاستعمار الصليبي ، والذي حل محله نفوذ القوتين العظميين ، لم يغب عن

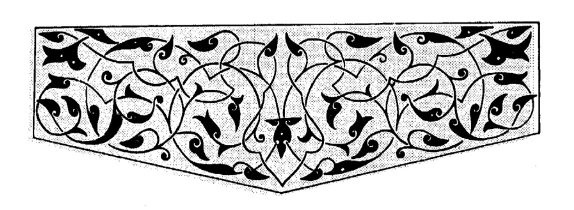
أذهانهم أن يعدوا البدائل عن الوحدة الاسلامية . فعملوا على انشاء أحزاب تستقطب عددا من الناس وتمزق الأمة حتى لا تقوم لها قائمة تحت مسميات مختلفة ، محاولين بذلك فصل العروبة عن الاسلام وايجاد كيانات صغيرة تستولي على مقاليد الأمور لصالح الاستعمار ، يقول الشيخ محمد الغزالي :

« ان المحاولات ناشطة للاجهاز على الاسلام ، تارة بتسويغ الارتداد عنه عقيدة وشريعة ، وتارة باحلال العروبة مكانه بعد تجريدها من أربطة الايمان ، ووشائج التاريخ ، ليكون مفهوما فارغا ميتا ، ثم افتعال يقظة عربية يلتف حولها المخدوعون .. لقد أبرزوا « القومية العربية » على أنها وليد أجنبي احتضنته بيئات نافرة من الاسلام أو مبغضة له ، وان هذا الوليد يستمد نماءه من الثقافات الدخيلة ، وتتسع دائرته على أنقاض مواريثنا الروحية والخلقية .. » .

وحاول الاستعمار بث فكرة فصل الدين عن الدولة في الأمة الاسلامية ، وتعتبر انجلترا وفرنسا رائدتين في هذا المجال ، وقد استطاعتا أن يكونا لهما تلاميذ وعملاء في ديار المسلمين ، بل ومن المنتمين الى الاسلام بمجرد أسمائهم وشهادات مواليدهم ، والمؤسف أن الكتب الدراسية المقررة على الطلبة في بعض الدول العربية ، اعتمدت الجنس واللغة والتاريخ المشترك ، والمصالح المشتركة هي وحدها مقومات القومية العربية .

وكثير من الدول العربية والاسلامية ، يرحب بالانضمام مثلا الى : كتلة عدم الانحياز ، أو الى الكتلة الافريقية ، ومنها ما هو عضو في الكومنولث البريطاني .. لكن حين تعرض فكرة الوحدة الاسلامية ، فلا تجد أي ترحيب من هذه الكثرة من الدول ، بل البعض منها يضيق الخناق على الداعين الى هذه الفكرة ، وهذا راجع الى أن هذه الدول لا تملك اراداتها ، فهي تتحرك وفق هوى الذين تدين لهم بالتبعية والولاء .. !

ولا يأس مع ذلك فالوحدة الاسلامية هي الأصل والأساس ، والله غالب على أمره ...



مائدة القارئ

كن مع هؤلاء

قال تعالى : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .الآية ٣٥ من سورة الأحزاب .

حسن الخلق

قال السيوطي : علامة حسن الخلق عشرة أشياء : قلة الخلاف ، وحسن الانصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين مايبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير ، ولطافة الوجه للكبير والصغير ، ولطف الكلام لمن هو دونه أو فوقه .

مهداة إلى حاكم

على الحاكم أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن ، والأناة فيما يحدث ،فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالاحسان المسارعة بالطاعة من الرعية والجند ، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب .

امتلاء المعدة

قال لقمان : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء ، عن العبادة .

إصلاح ذات البين

قال رسولنا الحبيب : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟**
قالوا :بلى ، يارسول الله ! قال :إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذوات البين هي الحالقة،لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».رواه أبو داود .

قل عند الافطار

في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر يقول : ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله .
وكان يقول : الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت .
وكان يقول : اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم .
وكان يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي .

دعاء أعرابي

وقف الأعرابي يناجي ربه ـ سبحانه ـ فقال :

اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك أو أضطهد ، والأمر لك .

الجدي . . . والذئب

وقف جدي على سطح ، فمر به ذئب ، فأقبل الجدي على الذئب يشتمه ، فقال له الذئب : لست أنت الذي تشتمني ، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه .
ضربنا ذلك مثلا لمن يستغل منصبه فيلحق الأذى بغيره .



قصص القرآن وقصص القصاص

للدكتور/احمد علي المجدوب

كانت القصة ولا تزال بضاعة القصاص، مع اختلاف بسيط، فقد كانوا في الماضي يبيعونها شفاهة، فأصبحوا يبيعونها كتابة وطباعة. وهم في الحالين قصاص.

والقصة لغة من قص الأثر أي تتبعه. وفي لسان العرب، القصة: الخبر وهو القصص وقص على خبره يقصه قصا وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب. والقصة الأمر والحديث.

ويعرف أبو هلال العسكري القصص، عند بيانه للفروق بينها وبين الحديث، فيقول: «إن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا عن سلف، ومنه قوله تعالى: **(نحن نقص عليك احسن القصص)** يوسف/٣، وقوله: **(كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق)** طه/٩٩، ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة، وأصل القصص في العربية أتباع الشيء الشيء، ومنه قوله تعالى: **(وقالت لأخته قصيه)** القصص/١١، وسمى الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص».

ويتبين لنا من تعريف أبي هلال العسكري انه يقصر القصص على ما كان متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية وهو ما صرح به في أول الكلام ثم كرره عند تعريفه للحديث والفرق بينه وبين القصص فهو يقول: «والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر، ويكون طويلا وقصيرا، وهذا يعني عند أبي هلال أن القصة لا تكون قصيرة لقوله أن القصص ما كان طويلا، ثم قوله أن الحديث يكون طويلا وقصيرا.

ويمضي في تعريفه للقصص

فيقول : « ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا .. والقصص قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضا مثل قص الثوب بالمقص وقص الجناح وما أشبه ذلك ، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره وسميت القصة لأنها يتبع بعضها بعضا حتى تحتوي على جميع أمره ويلاحظ على تعريف أبي هلال العسكري أنه يجمع إلى المعنى اللغوي لكلمة قصة ، ما يمكن أن نعتبره تجاوزا معنى اصطلاحيا ، ونقول تجاوزا لان ابا هلال لم يقصد منذ البداية وضع مثل هذا التعريف وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بين الحديث والقصة فوجد نفسه منساقا وراء فروق تعد من عناصر المعنى الاصطلاحي وإن كانت في الواقع لصيقة بالمعنى اللغوي لكلمة قصة أو قصص .

والعناصر أو الفروق التي ذكرها ، منها ما يتعلق بشكل القصة من حيث الطول والقصر ومنها ما يتعلق بالموضوع الذي تدور حوله القصة . ومن حيث الطول فانه يشترط لاعتبار العمل جديرا بوصف القصة أن يكون طويلا وهو يتخذ من الحديث معيارا لقياس طول القصة ، فهي على الأقل يجب أن تكون أطول منه ، وهي أما أن تكون حديثا طويلا أو أن تكون خبرا طويلا أو عددا من الأخبار التي ترتبط فيما بينها ويتبع بعضها بعضا وهي في هذا تختلف عن الحديث الذي يتضمن عادة موضوعا واحدا كنصيحة أو توجيه أو أمر أو نهى أو خبر ولكنه قصير . وفيما يتعلق بموضوع القصة ، فان ابا هلال يرى أن يكون متعلقا بأحداث أو أخبار ماضية على خلاف الحديث الذي يكون عمن سلف وعمن حضر . ولكن لا يجب أن نفهم من هذا أنه يقصد أن تكون الأحداث أو الأخبار تاريخية أو لها صلة بالتاريخ ، فيكفي أن تكون متعلقة بالماضي حتى ولو كانت تدور حول أشخاص عاديين ويدل على هذا قوله : « وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره » فالقصة قد تتناول موضوعا اجتماعيا أو عاطفيا أو سياسيا أو دينيا وغير ذلك وهو ما نجده في قصص العرب سواء في الجاهلية أم في الاسلام .

وربما ينشأ الظن لدى من يقرأ تعريف ابي الهلال العسكري للقصة أنه لم يفطن إلى ما يجب توافره من شروط أخرى تتعلق بالشكل الفني للقصة ، سواء من حيث تركيب الأحداث أو ارتباط الأخبار بحيث يتكون منها سياق عام يتضمن كما هو معروف مقدمة ونهاية وتقع بينهما عقدة أو بؤرة تتجمع فيها الأحداث التي اشتملت عليها المقدمة ، ولكنا لا نظن أنه لم يفطن إلى هذا الأمر الذي نلمس إلى أي حد أصبح جزءا من خبرة أصغر صبي يقرأ القصص أو يشاهد الروايات السينمائية والتلفزيونية ويميز فيها بين المشوق الذي يتضمن موضوعا معقدا ومشكلة غامضة ونهاية مثيرة ومعقولة وبين القصص الساذج الذي يشعر أن كاتبه يستخف بعقله أو لا يقدر

ذكاءه . ولا شك أن ابا هلال وغيره من العلماء المسلمين قد سمعوا وقرأوا كثيرا من القصص الذي كان شائعا بدرجة كبيرة في أزمانهم ولكنه ، كما سبق أن قلنا ، لم يكن يضع تعريفا اصطلاحيا للقصة وإنما كان يحدد الفروق اللغوية بينها وبين الحديث .

ولعله يجدر بنا أن نسوق للقارىء تعريفا حديثا لعالم مسلم محدث هو الشيخ محمد متولي الشعراوي فهو يقول : « كلمة قصة في ذاتها مأخوذة من قص الأثر . ومعنى قص الأثر أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه ، بحيث لا يتجاوز الأثر أبدا ، ليصل إلى مراده من نهاية الأثر . » ويريد فضيلته أن يزيد الأمر وضوحا فيضيف إلى ما تقدم قوله « فقصاصو الأثر حينما نأتي بهم ليكشفوا لنا جريمة وقعت ، ويرون آثار أقدام ، يسيرون مع الأقدام ليعرفوا أين ذهب صاحب هذه الأقدام ؟ أو يفحصون بصمة صاحب القدم حتى يستطيعوا أن يعرفوه فمعنى قص الأثر : أن نتبع الأثر بدون تصرف . اذن كلمة « قصة » يجب ألا تقال أبدا في أمر خيالي ، ولا في أمر متوهم ، ولا في أمر لا واقع له ، ويجب أن تطلق على واقع لا يتعداه القاص بخيال أو بغيره أبدا » .

ومعنى هذا أن القصة ، في رأي الشيخ الشعراوي يجب أن تدور حول حادث واقعي أو خبر حقيقي أو كليهما . كذلك فانها أي القصة ، يجب أن تتناول تاريخا فهو يقول : « القصة لون من ألوان التاريخ . فما التاريخ أولا ؟

التاريخ ربط الأحداث بالأزمنة وإن كان تاريخا لشخص يقول قائل : قد يكون التاريخ لحياة شخص من الاشخاص . نقول له : الشخص نفسه حدث من أحداث الحياة أيضا . إذن فما دام التاريخ هو ربط الأحداث بأزمانها فهو كذلك سواء كان فعلا أم فاعل فعل ، إذن فقد يكون التاريخ مرة لحدث ، ثم تدور الأشخاص حول الحدث » .

ولكن فضيلته لا يلبث أن يحدد بشكل أكثر وضوحا ما يعنيه بأن التاريخ قد يكون تاريخا لشخص ، مما يجعل القارىء يتبادر إلى ذهنه دخول القصص العادي أي غير التاريخي بالمفهوم الضيق في المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي . فهو يقول : « إذن الفكرة في الحدث ذاته ثم نأتي بالأشخاص الذين يدورون حول الحدث » ويضرب مثلا بالثورة الفرنسية فيقول : إذا أرخت للثورة الفرنسية فانك تتعرض للأشخاص الذين كانوا حول هذا الحدث .. إذن فالحدث يتطلب أشخاصا .. وقد يكون التاريخ مقصودا به الشخص ، وتدور الأحداث حوله ، مرة نريد الحدث ، وتأتي الأشخاص الذين يدورون في فلك الحدث ، ومرة نريد الشخص وتأتي الأحداث التي تدور حول الشخص » فهو حين قال إن القصة يمكن أن تتناول أشخاصا إنما قصد الأشخاص التاريخيين الذين تدور الأحداث حولهم أو الذين يدورون حول الأحداث .

كذلك فانه يجعل القصص وقفا على ما كان من الأحداث على درجة من الاثارة ، لم يحددها ، وإن اشترط أن تكون مثيرة ، واستبعد الأحداث غير المثيرة ولذلك فانه يقول : « والقصة لابد أن تكون حدثا مثيرا من التاريخ ، ودائما تكون فيها عقدة ويوجد فيها الحل للعقدة .

إذن القصة لون خاص من التاريخ ، لا تتعرض لمطلق التاريخ ، بل تتعرض لحدث مثير» ومن الواضح أن فضيلته يقصد إلى قصر كلمة « قصة وقصص » على ما كانت موضوعاته تاريخية حقيقية ، تفوق غيرها في الاثارة أو الأهمية بمعنى أصح وهذه الشروط مجتمعة لا تتوفر إلا في قصص القرآن الكريم الذي يقول فيه الله سبحانه : (**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**) الكهف/١٣ ، ويقول : (**إن هذا لهو القصص الحق**) آل عمران/٦٢ ، ويدعو فضيلته من يسمون القصص الذي يكتبه البشر « قصصا » ان : « يفطنوا جيدا إلى أن ما يضعون من القصص يجب أن يوضع له اسم غير هذا الاسم . »

وعلى الرغم من أننا لا نختلف مع الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن قصص القرآن هو القصص الحق وما عداه ليس كذلك إذ تتفاوت فيه نسبة الحق إلى الباطل بل وقلما يرجح فيه الحق على الباطل . الا اننا نختلف معه فيما عدا هذا . فمن ناحية ، فان القصة والقصص ليست بالتسمية الحديثة التي سميت بها الأعمال الأدبية التي تتناول أحداثا أو أخبارا وما يسمى بالعقدة وما إلى ذلك ، وإنما هي تسمية قديمة ، فقد وجد في الجاهلية قصص كثير ، تنوعت موضوعاته فمنه ما كان يدور حول الحروب والغزوات ومنه ما كان يدور حول العشق والحب ومنه ما كان يدور حول الجان والسحر . والأمر الذي اختلف فيه العرب في الجاهلية ثم في القرون الأولى من الاسلام عما هو شائع اليوم ، هو التأليف أي وضع القصص ، فهم لم يكونوا يؤلفون قصصا ، ولكنهم كانوا يحفظون أحداثا ويتناقلون أخبارا تتميز على غيرها من حيث ما فيها من إثارة وغرابة . كذلك فانهم لم يدونوا تلك الأحداث والأخبار بعد أن صارت قصصا ولكنهم حفظوها في ذاكرتهم ورددوها فيما بينهم فانتقلت من جيل إلى جيل مع ما اقترن به هذا الانتقال من إضافات وزيادات وتعديلات كانت تضفي على القصص قدرا أكبر من التعقيد والتشويق والاثارة ومن ثم المبالغة في الوصف والتصوير .

ولم تقتصر رواية القصص على ما كان منها ذو صلة بالأحداث المحلية ، ولكنه شمل ضروبا من القصص مما كان شائعا في المجتمعات المجاورة للجزيرة العربية مثل فارس والشام ومصر والهند وغيرها ، والتي كان التجار العرب يترددون عليها للاتجار مع سكانها فكانوا يعودون منها محملين لا بالمال والسلع فحسب ، بل وبما تلتقطه آذانهم وتعيه ذاكرتهم من القصص التي كانوا يسمعونها اثناء

إقامتهم في هذه البلاد . ولذلك نجد أن التراث الأدبي للعرب قبل الاسلام يتضمن الكثير من القصص الأجنبي المنقول من مصر والشام وفارس والهند . وبعضه بقى كما هو أي في صورته وشكله الأجنبيين والبعض الآخر وإن احتفظ بمضمونه ، إلا أنه تعرض لما يمكن أن نسميه عملية تعريب بحيث استبدلت فيه أسماء الأشخاص والأماكن باسماء أخرى عربية ، وربما أدخلوا بعض التعديلات عليه بحيث يبدو كما لو كان قد حدث في البيئة العربية .

ولما جاء الاسلام لم يتغير من الأمر شيء ، اللهم إلا من حيث الموضوعات التي يدور حولها القصص . ذلك أن الاسلام جاء بضمن ما جاء به إلى العرب ، بفيض من القصص التي وجدوها ملائمة أشد الملاءمة لمزاجهم وميولهم ، ففضلا عن قصص القرآن وهو كثير يشمل الأحداث التي وقعت للأنبياء والصالحين ، أتت الفتوحات بفيض آخر من القصص الذي يدور حول بطولات المسلمين وإيمانهم وحسن خلقهم ومروءتهم ، بالاضافة إلى السيرة النبوية التي تعد نوعا قائما بذاته حيث أنها وإن كانت تشبه القصص إلا أنها ليست منه .

ولعب القصاص دورا كبيرا وهاما في نشر هذا القصص ، حيث كانوا يترددون على المساجد والجماعات والمنتديات يروون قصصهم مقابل الحصول على هبات المستمعين . وهكذا يتبين لنا أن القصص أو القصة وجدت منذ زمن بعيد ، وكانت تسمى بهذا الاسم وظلت تسمى به دون أن يلقي هذا اعتراضا من أحد العلماء أو الفقهاء حتى في الأوقات التي فقد فيها القصاص ثقة هؤلاء وأولئك وهاجموهم بعد أن خلطوا القصص الذي ورد في القرآن موجزا بالاسرائيليات والخرافات والأساطير فلم يقل لهم أحد : غيروا اسم هذا اللون الذي تقصونه لأنه كذب وباطل ولا يجوز أن يحمل نفس الاسم الذي يحمله قصص القرآن .

وإذا كان فضيلة الشيخ الشعراوي يرى أن القصة معناها اقتفاء الأثر أي تتبع الحدث الحقيقي ، وهو مالا ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس ، سواء في زماننا هذا أو فيما مضى من أزمنة . فان هذا الاختلاف بين النوعين يعني أن النوع الثاني ليس بقصص ، حتى ولو كان يقوم على الخيال أو الكذب كالاسرائيليات ودليلنا على هذا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه التفرقة حيث قال : (**إن هذا لهو القصص الحق**) وقوله : (**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**) وبمفهوم المخالفة يكون القصص الذي يكتبه الناس هو القصص غير الحق والقصص السيء ، ونظن أنه إذا منعنا تسمية القصص الذي يكتبه الناس بهذا الاسم ، فان النتيجة ستكون استحالة المقارنة أو المقابلة بين : القصص الحق والقصص غير الحق أو الكاذب ، وبين القصص الحسن والقصص السيء لأن اسم القصص سيكون قاصرا على

ما ورد في القرآن الكريم . ولو اننا أخذنا بمنطق الاستاذ الشعراوي لكان معنى هذا أن نغير اسم كل شيء أو كائن أو مخلوق سيىء فالرجل الشرير مثلا ننفي عنه صفة الرجولة وكذلك المرأة السيئة والماء غير العذب لا يسمى ماء والكلب العقور لا يسمى كلبا وهكذا . وهذا في غاية الغرابة ونستدل في هذا المقام بقوله تعالى : **(يانساء النبي لستن كأحد من النساء)** الأحزاب/٣٢ ، فقد دعاهن نساء على الرغم من تمييزه لهن عن غيرهن من النساء وكذلك القصص الذي يكتبه الناس ، هو قصص ولكنه خيالي أو غير حقيقي أو قائم على التضليل والأباطيل كالاسرائيليات وغيرها . فالقصص اسم نوع من أنواع الأعمال الأدبية يدخل تحته مفردات منها السيء ومنها الحسن كثمار الفاكهة منها ما هو ناضج صالح ومنها ما هو غير صالح للأكل ولكنه يظل يحمل اسم النوع الذي هو منه .

كذلك فاننا لا نتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما ذهب إليه من أن القصة لا تكون إلا تاريخا سواء أكانت تاريخ حدث ام تاريخ شخص أم أشخاص . ولعله كان متأثرا في إبدائه لهذا الرأي بما يعتقده من أن قصص القرآن ليست إلا تاريخا ، إما لحدث هام ومثير أو لأشخاص عاشوا حدثا أو أحداثا مثيرة . وهذا غير صحيح ، فالقصص القرآني فيه ما هو تاريخي بالمعنى العلمي وهو المعنى الذي قصده الشيخ الشعراوي ، وفيه ما ليس بتاريخي ، ومن النوع الأول قصص الأنبياء عموما وقصة موسى عليه السلام على وجه الخصوص . أما ما عدا هذا فليس تاريخا وإنما هو من قبيل الأحداث التي تقع لأشخاص عاديين ، وهي على الرغم من غرابتها أو خروجها على المألوف لا ترقى إلى درجة الحدث التاريخي مثال ذلك قصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر أو الرجل الصالح وقصة أيوب ، فضلا عن قصة يوسف وامرأة العزيز وغيرها من القصص الذي وإن كان يصدق عليه وصف الحدث التاريخي ويأخذ وضعه كحلقات في سلسلة الأحداث التاريخية ، إلا أنه لا يعتبر كذلك إلا من حيث شغله لحيز من الزمن باعتباره ، أي الزمن ، مرادفا للتاريخ ولكنه لا يعد قصة تاريخية بحسب مقاييس أو مواصفات هذا النوع من الأعمال الأدبية . ولذلك فان قصص القرآن لا يعد كله تاريخيا ، فنحن نجد فيه القصص الاجتماعي والقصص العاطفي الذي يعرض لمشاعر الناس وعواطفهم وميولهم ونزعاتهم في المواقف المختلفة . من ذلك مشاعر امرأة العزيز نحو يوسف وزوجة فرعون نحو زوجها وأيوب إزاء ما نزل به وغير هذا وذاك مما يحفل به قصص القرآن الكريم .

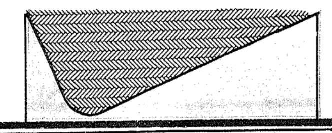
ولعل من يقرأ كتاب **التصوير الفني في القرآن** للاستاذ سيد قطب يدرك هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فلو أن ما ورد في القرآن من قصص ينتمي إلى نوع القصة

التاريخية لوجدناها كلها في صورة فنية نمطية ولكن العكس هو الصحيح وهو ما يمكن أن يلاحظه من يقرأ قصص القرآن .

وأخيرا فان الشيخ الشعراوي يرى أن يكون مناط كل قصة : تثبيت فؤاد قارئها لمعنى من المعاني يجب أن يعيشه ، ويجب أن يتفانى فيه ، ويجب ألا يحيد عنه وهو ما انتهى إليه من تفسيره لقوله تعالى : (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**) هود/ ١٢٠ ، ولعله قد فاته تخصيص هذا « المناط » بالمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم . وإلا ما لجأ إلى التعميم فقال « ان يكون مناط كل قصة » علما بأن القصص وردت في القرآن لأسباب أخرى غير تثبيت فؤاد الرسول من ذلك قوله تعالى : (**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) الأعراف/ ١٧٦ ، وقوله : (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب**) يوسف/ ١١١ ، وقوله : (**ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي**) الأنعام/ ١٣٠ وللقصص أغراض أخرى فضلا عن غرض تثبيت الفؤاد من بينها الانذار والعظة والعبرة والتذكير وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى وغير ذلك من الأغراض وهو ما ينطبق على القصص الذي يكتبه الناس أيضا والذي يجب أن تتنوع أغراضه وتتباين أهدافه ومراميه . ونتفق مع فضيلة الشيخ الشعراوي فيما قاله من أن القصص لا ينبغي أن يهدف إلى قتل الوقت أو للاتجار أو لزخرف يراد تزيينه للناس ولا لإباحية ولا لغير ذلك ، مما لا فائدة فيه ولا جدوى منه . وقبل أن أنهي هذا الموضوع أجد نفسي ملزما بابداء ملاحظة هامة على ما قرأته منسوبا لفضيلة الشيخ الشعراوي وهو الداعية الذي نكن له كل تقدير ونحمل له كل ود وحب .

ذلك أن سوق الكتب تمتلىء بكتيبات كثيرة تحمل اسم الشيخ الشعراوي وهي في الواقع ليست من نوع الكتيبات التي يضطلع مؤلفوها بتأليفها ، بما يتضمنه ذلك من دقة في الكتابة وحرص على المراجعة إلى غير ذلك . وإنما هي محاضرات أو أحاديث ارتجلها فضيلته هنا أو هناك وتولى فرد أو أفراد تسجيلها كتابة أو على شريط ثم أعادوا كتابتها ونشرها في كتيبات بقصد تعميم الفائدة باتاحة الفرصة لمن سمعها بالاحتفاظ بها والرجوع إليها ولمن لم يسمعها بقراءتها . وأظن أن فضيلته لم يراجعها المراجعة الكافية .

ولعله لو فعل لأعاد النظر في كثير مما قاله ارتجالا ، والارتجال ليس كالكتابة المتأنية التي تتيح للمرء إعادة النظر مثنى وثلاث فيما كتب وتيسر له إجراء ما يراه مناسبا من تعديل أو إضافة . لذلك فانني أتوجه بالرجاء إلى فضيلة الشيخ الشعراوي أن يعطي مزيدا من الاهتمام لما ينشر منسوبا إليه نظرا لما تصادفه هذه الكتيبات من رواج ملحوظ وما يعطيه القراء لما تتضمنه من اهتمام عظيم وقبول شبه مطلق .



فلسفة التوبة في الاسلام

للشيخ / عبدالحميد السائح

في القــرآن الكــريم والحــديث الشريف إرشاد واضح ، وتوجيه بين ليكون المسلم عنصر خير في هذا العالم ومصدر هداية ، سائرا الى مدارج الرقي والفلاح وسالكا سبيل النجاح والنجاة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة / ١٨٣ فهدف الاسلام من فرضية الصيام أن يهيىء المسلم الصائم ليكون في عداد المتقين ، ولا يكون كذلك من اختار لنفســه ان ينحـرف عن طريق الله التي هي الصراط المستقيم ، صراط الـذين أنعم الله عليهم بنـعمــة الايمـان والاستقامة والهداية والرشاد ، كما لا يكون كذلك من اعرض عن تعاليم الله ، وسار وراء شيطانه واتبع هواه ولا يكون كذلك أيضا من استمر في غوايته وأمعن في أعراض الناس والاعتداء عليهم وعلى حقوقهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري وغيره وفي حديث آخر :« رب صائم حظه من صيـامـه الجـوع والعطش » رواه الطبراني

وكذلك في الصلاة قال سبحـانه : **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت / ٤٥ ولا يحقق حكمة الله في فرائضه الا من اقبل على الله مخلصا مقدرا جلاله وعظمته ومثل ذلك في الزكاة والحج ، وسائر شرائع الاسلام ، قال تعالى** : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة / ١٠٣ وقال أيضا(**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة**) الاعراف / ١٥٦ وقال عز شـأنه : (**لن ينـال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينـالـه التقوى منكم**) الحج / ٣٧

فالتقوى والأخذ بشرائع الاسلام ، من الأهـداف التي قصـد اليهـا

الاسلام ، لانها تدخل صاحبها في رحاب الله وتجعله من الحائزين على رضاه .

والله سبحانه خلق الانسان على الفطرة التي تشده الى إدراك النعمة وتقديرها ، والإيمان بعظمة الخالق وارتباط القلوب على محبته ، كما جعل فيه غرائز تجذبه الى الترف والبطر والتمتع بالشهوات والانغماس في الملذات ، ولذلك يكون الانسان في صراع بين قوى الخير ، التي تحاول أن تضمه الى صفوف الناجين والمتقين ، وقوى الشر التي تحاول أن تدفع به الى الهاوية حتى يكون في بعد سحيق تحجز بينه وبين الهداية والسعادة الحقيقية ، وهنا تبرز قوة الإيمان عند من هداه الله الى أن يحوز رضاه .

قال تعالى : (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**) آل عمران / ١٤٢ وهذا الوضع ميز الله به عباده من بني آدم على الملائكة لانهم خلقوا مطبوعين على الطاعة : (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) التحريم /٦ ومن اجل هذا قال بعض العلماء إن خيار البشر أفضل من خيار الملائكة ، لأن طبيعة البشر أشق ومكافحتهم أصعب ، وجهادهم أضنى .

والله سبحانه يريد لعباده المؤمنين ان يكونوا مجندين لطاعته متباعدين عن معصيته حتى يكون ذلك اقرب الى الاذعان بقوة الله وعظمته وواسع علمه وخبرته ، ولكن هذه الحال قد لا تكون ميسورة ، ولا الطريق اليها معبدة ولا تكوين النفس البشرية وخلقتها مما يسهل ذلك فإذا زلت القدم وانساقت النفس وراء غريزتها ، وغرها شيطانها ووقعت في معصية الله ، حرص خالق الأكوان على ألا يطول الفراق بين هذا النوع من البشرورحمة الله ومحبته ورضوانه ، فأمر سبحانه عباده المؤمنين ان يثوبوا الى رشدهم اذا انحرفوا ، وان يعودوا الى ربهم اذا غفلوا وأن يشعروا بعظمة خالقهم ودقيق علمه وواسع اطلاعه . قال تعالى : (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) النور / ٣١

ولا يجوز لهم أن يستمرئوا الانحراف ، ولا أن يستمروا على الغفلة والتغافل ، لانه لا سبيل الى اخفاء الحقائق عن علام الغيوب ، الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور : (**إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير**) لقمان / ١٦ ولذلك يبادر المؤمن الى الأوبة الى الله ، والعودة الى حظيرة قدسه ورضاه ، حالما يصحو من غفلته كما قال سبحانه : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الأعراف / ٢٠١ .

والمؤمن يشده إيمانه الى ان يعود الى صوابه ويربط قلبه بخالقه ، حتى يتغمده بفضله ورحمته ، ويدخله في حوزة المتقين التائبين : (**إن الله يحب**

التوابين ويحب المتطهرين) البقرة / ٢٢٢ كما يبعده عن مواقف المتخاذلين الذين يستمرئوم العصيان ، ويدأبون على الانغماس في الترف ولذائذ الشهوات ولو أغضبوا الرحمن ، ولذلك كانت التوبة الى الله من واجبات الاسلام عملا بآيات القرآن وأحاديث خير الأنام ، صلوات الله وسلامه عليه .

التوبة النصوح

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**) التحريم / ٨

والتوبة النصوح هي ما يتوافر فيها العناصر التالية :

١ ـ الندم على ما حصل .
٢ ـ الاقلاع عن المعصية .
٣ ـ العزم على ألا يعود .
٤ ـ الاستغفار .

وبذلك يتجلى ان الاستغفار هو عنصر من عناصر التوبة ، فاذا استغفر الانسان بلسانه ، وهو مصر على عصيانه مستمرىء ما هو فيه من المحرمات ، لا تصح توبته ولا قيمة لاستغفاره ، بل هو استغفار يحتاج الى استغفار بمعنى ان الاصرار على الذنب خصوصا اذا كان من الكبائر ، يعني انغماس صاحبه في غضب الله ومعصيته ، ولا بد أولا من الندم ، حتى يستقر في قلب المؤمن شعوره بخطئه وانه لا بد أن يعود الى الطريق الصحيح ثم لا بد من الاقلاع عن المعصية ، اما اذا استمر في العصيان مثل أكل الربا وشرب الخمور ولعب القمار والطعن في اعراض الناس وانكار حقوقهم ، فان استغفاره لايجديه الا اذا اقلع عن عصيانه ثم يعزم بقلبه ألا يعود للمعصية ، اما اذا اضمر في نفسه ان يعود الى ذنبه ، فلا تنفعه توبته ولكن اذا استوفى عناصر التوبة ثم زلت به القدم مرة اخرى فان فضل الله عظيم : (**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**) الشورى / ٢٥ والعنصر الاخير في التوبة هو الاستغفار اي طلب المغفرة والعفو من الله سبحانه .

المعاصي والسيئات

ـ ١ ـ

يقصد بالسيئات والمعاصي المحرمات والمحظورات شرعا ، سواء كانت محرمة لذاتها ، وهو ما يعبر عنه بتحريم المقاصد **او كانت محرمة لغيرها**،وهو ما يعبر عنه بتحريم الوسائل مثل النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة ، ومع ان هذا النوع محرم ايضا الا انه اقل اثما . قال تعالى : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله**

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) آل عمران / ١٣٥ و ١٣٦

وكلا النوعين تجب التوبة منه ، وعدم الاصرار عليه ويعبر عنهما بالكبائر والصغائر ، واعدل الاقوال في التمييز بينهما ، ان الكبيرة ما ترتب عليها حد او توعد عليها بالنار ، او اللعنة او الغضب ، والصغيرة ما دون ذلك ويدخل في الكبيرة كل ما ثبت بالنص انه كبيرة مثل الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والزنا ، وقذف المحصنات وشهادة الزور ، والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين واليمين الغموس ، ويرجح هذا القول لانه هو المأثور عن السلف مثل ابن عباس وابن عيينة واحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعا ، واذا اجتنبت الكبائر تكفر الصغائر ، كما تكفر الصغائر بالاعمال الصالحة مثل تقديم العون لمن يحتاجه والصدقات وجميع أعمال الخير . قال تعالى : (**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)** النساء / ٣١ وقال أيضا : (**إن الحسنات يذهبن السيئات)** هود / ١١٤ وقال صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد

المعاصي والسيئات ايضا

- ٢ -

وتنقسم المعاصي والسيئات أيضا الى :

١ - المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الله

٢ - المعاصي والسيئات التي تتعلق بحقوق الناس

اما القسم الاول : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه آنفا ، وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، قال ابن حزم : والتوبة من الكفر والزنا وفعل قوم لوط والخمر واكل الاشياء المحرمة كالخنزير والدم والميتة وغير ذلك تكون بالندم والاقلاع والعزيمة على ألا يعود ابدا واستغفار الله ، وهذا اجماع لا خلاف فيه .

واما القسم الثاني : فسبيل التوبة منه ما ذكرناه في القسم الاول ، ويضاف اليه ضرورة رد المظالم واعادة الحقوق الى اهلها قال ابن حزم ايضا : «والتوبة من ظلم الناس في اعراضهم وأبشارهم لا تكون الا برد اموالهم اليهم ، ورد كل ما تولد منها معها او مثل ذلك ، ان فات ، فان جهلوا ففي المساكين ووجوه البر ، مع الندم والاقلاع والاستغفار والتحلل من الاعراض والأبشار الخ .

وقد افاض الامام الغزالي في كيفية خروج التائب من المظالم المالية .

فاذا اقرضك شخص عشرة دنانير مثلا فانكرت عليه حقه او ماطلت في رد

الحق الى صاحبه ، او اضعته عليه او حلفت يمينا كاذبة ، تكون ظالما ولا يقبل الله توبتك من ذنبك هذا ، ما لم ترد الحق الى صاحبه .

قل لي بربك ايها الصائم الكريم ، اذا كان هذا هو حكم الله في حق الشخص الذي ينكر على غيره حقه مهما كان ضئيلا او يضيعه عليه فما بال الذين يخونون امانات الجماعة والامة ، ويضيعون عليهم حقوقهم او يفرطون في حفظ ما ائتمنهم الله عليه ؟ فانهم لو استغفروا في اليوم الف مرة فلن يغفر الله لهم ولن يقبل توبتهم ما لم يردوا حقوق الامة اليها ، ويعيدوا للمظلومين حقوقهم ايضا ، فليحذر الذين يتولون شؤون العامة اذا فرطوا او ضيعوا او اهملوا او ارتشوا ، فان ذممهم لا تبرأ امام الله الا اذا ردوا الحقوق والامانات لاصحابها واعادوا للمظلومين ظلاماتهم .
قال تعالى (**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**) الأحزاب / ٧٢

متى يتقبل الله التوبة ؟

ان الله سبحانه يريد لعباده ان يسارعوا الى توبته وطلب مغفرته ورحمته ، كلما وقعت خطيئة أو زلت القدم حتى لا يتلبس المؤمن بالمعصية ولا يبقى بعيدا عن رحاب ربه ، ولذلك فانه لا يقبل توبة من يؤخر توبته الى آخر الوقت ، كما قال سبحانه : (**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**) النساء / ١٨ وانما يتقبل توبة من تتصل توبته بزلته ، وتقترن أوبته بمعصيته كما قال تعالى : (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**) النساء / ١٧ .

فيكون وقت قبول التوبة محددا بما ذكر ، ولذلك فان الله لم يقبل من فرعون توبته وايمانه حين أدركه الغرق ، كما قال سبحانه : (**حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**) يونس / ٩٠و٩١

هدف الاسلام من التوبة

يهدف الاسلام من الحض على التوبة ان يشعر المسلم أن عليه أن يكون دائما عنصر خير ومصدر نفع للبشرية ، ومنطلق هداية لجلب الاخرين الى حوزة المؤمنين المتقين ، وألا تشيع المعاصي والمنكرات ، ولا تنتشر الموبقات ، حرصا على صلاح المجتمع ، والاقلال من المظالم والمفاسد ، فاذا بادر المؤمن الى التوبة تجمعت عناصر الخير وتناثرت قوى الشر والطغيان واتجه المجتمع الى ما فيه الخير والمصلحة العامة . قال تعالى : (**نبيء عبادي أني أنا**

الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم) الحجر / ٤٩ و ٥٠
فالآية الاولى تبشر المؤمنين بأنهم مهما ارتكبوا من المعاصي فان الله يغفره ويشمل التائبين برحمته ، والثانية نبهت المؤمنين بان عليهم ألا يسترسلوا في عصيانهم ولا يغفلوا عن ان الله يعاقب المعرضين عن مراقبته والمتخاذلين عن تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : **(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب)** غافر / ٣
وفي البصائر ، حين بيان سرائر التوبة ان المقصود بها خوف الله وخشيته والقيام بامره واجتناب نهيه ، فيعمل بطاعة الله على نور من الله ، يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله وقد اخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن **ناسا من اهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فاكثروا ، ثم اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الى قوله : (غفورا رحيما) ونزل : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)** .
وفي رواية للطبراني عن ابن عباس ايضا قال : " **بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني وانت تزعم ان من قتل او زنى او اشرك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، وانا فعلت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟ فانزل الله : (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا)** ـ الاية فقال وحشي ، هذا شرط شديد « إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فلعلي لا اقدر على هذا فانزل الله (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئته ، فلا ادري أيغفر لي ام لا ؟ فهل غير هذا ؟ فانزل الله : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) قال وحشي : هذا نعم فأسلم »
ايها الصائم الكريم :
انظر ـ رحمك الله ـ كيف يحرص رسولك العظيم صلى الله عليه وسلم على هداية رجل اقدم على قتل عمه حمزة رضي الله عنه مما يدل على أن مبادىء الاسلام ، وأهداف الاسلام في ذروة المبادىء الانسانية السامية ، التي تهدف الى اصلاح المجتمع وانقاذ العصاة من عصيانهم والمنحرفين من غواياتهم ورحم الله محدث الشام الاكبر وعلامتها المرحوم الشيخ بدر الحسني ، فقد سمعته في احد دروسه يلفت انظار طلابه ، ويرشدهم الى ان العصاة والمذنبين يحتاجون منا الى عناية واهتمام بامرهم حتى يعودوا الى صوابهم ورشدهم . حبذا لو ان دعاة الاسلام والوعاظ والمرشدين يأخذون من ذلك عبرة ودرسا ، ويعملون على تيسير الدعوة الى الاسلام ويستعملون الحكمة في عرض مبادىء الاسلام واحكامه حتى ينجذب الآخرون اليه

ويقبلوا على تفهم مبادئه عن طواعية واختيار وقناعة ، ونفتح الحوار بينهم اذا اقتضى الامر على اساس من ارشاد الله بقوله سبحانه : (**وإنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين**) سبأ / ٢٤ وقوله عز شأنه : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل / ١٢٥

واختم هذا البحث بالاشارة الى الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ، قال : « لما قضي الله الخلق كتب عنده فوق عرشه ، إن رحمتي سبقت غضبي » ، والى الحديث القدسي الاخر الذي رواه البخاري ايضا « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » . وفي رواية لمسلم « وإن تركها (السيئة) فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جرائي » وان هذا الحديث القدسي روى بالفاظ متعددة متقاربة ، في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والذي تبين من مجملها ما يلي :

١ ـ ان الهم على الحسنة يكافىء الله عليه فضلا منه ورحمة

٢ ـ ان الهم على السيئة ، بمعنى الخاطر الذي لا يصحبه توطين النفس على العمل ولا عزيمة لا يترتب عليه مؤاخذة واذا هم بالسيئة ثم تركها وأعرض عنها إرضاء لله وخوفا منه تكتب له حسنة كاملة

٣ ـ العزم على الحسنة يكافىء الله عليه لأنه يربي الإنسان على خير العمل وطريق الهدى والرشاد ، وأما العزم على السيئة ، اذا لم يعملها فانه يؤاخذ عليه على ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وغيره ، وقال القاضي عياض ، إن عامة السلف على ما قاله ابو بكر .

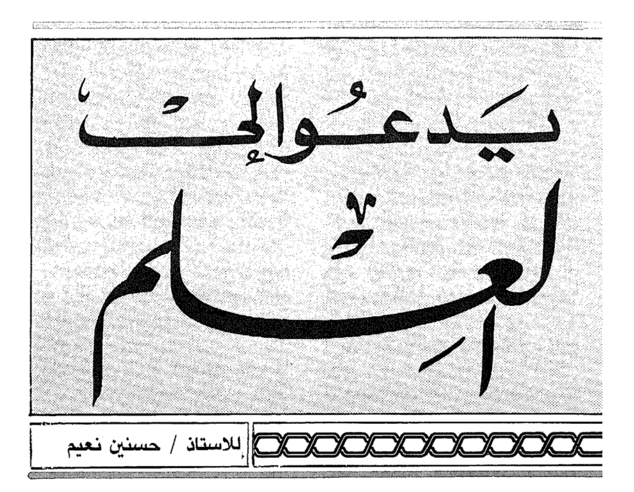
وقد تضافرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر ، قال تعالى : (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**) النور / ١٩ ومما يدل على المؤاخذة بالعزم والتصميم على السيئة وإن لم يعملها ، ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » ، والمقصود في الحديث ان احدهما قتل الآخر كما وقع التصريح به في بعض الروايات .

أسأل الله ان يهدينا رشدنا ، ويختم لنا بخاتمة السعادة والحسنى ، وأن يتقبل صيامنا وأعمالنا ، وأن يوفقنا لما فيه رضاه ، فانه نعم المرتجى والأمل : (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**) آل عمران / ٨



العلم مقدس في نظر الاسلام ، وهو أسمى شيء في الحياة ، لأنه حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الانسان الغاية ويربو على النهاية ، وقد حث علي بن أبي طالب على التعليم فقال « علموا اولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . ولم يفرق الاسلام في طلب العلم بين الأبناء والبنات . كيف وقد قال رسول الاسلام « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه ابن ماجه

وليس ادل على اهتمام الاسلام بالعلم ، من اطلاق الرسول سراح الأسرى المتعلمين من الكفار ، إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة . وحسبنا ان نذكر ان العلم في نظر الشافعي ، قوام الدنيا وقوام الدين رحمه الله تعالى « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » بل لا نغالي اذا قلنا ان الرسول كان يمنح الأوسمة والدرجات العليا للمتفوقين في العلوم ، ويكرم الممتازين من المتعلمين ، من الرجال والنساء ، فها هو ذا يمنح معاذ بن جبل ، درجة الامتياز في الفقه ، فيقول « اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٥٥ ويمنح زيد بن ثابت ، درجة الامتياز في علم الميراث ، فيقول « افرضكم زيد ابن ثابت » ، رواه ابن ماجه جـ ١٠ ص ٥٥ ويمنح ابا عبيدة بن الجراح



للاستاذ / حسنين نعيم

درجة الامتياز في علم الشريعة والقضاء ، فيقول « أقضاكم ابو عبيدة »

هذا وقد رأى ابن مسكويه والغزالي ، وهما من علماء الاسلام ، ان العلم غذاء للروح وغذاء للعقل ، وعد ابن خلدون العلم والتعليم طبيعيا في العمران البشري ، وقال إن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته ، من الحس والحركة والغذاء ، وغير ذلك ، وإنما تميز عنها بالفكر ، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصناعات .

وقد أفاض الحكماء والأدباء والفلاسفة في هذا السبيل ، فالغزالي يقول « من أصاب علما فاستفاده وافاده ، كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة » . يستوى في ذلك الكبير والصغير ، ولا شك أن الطفل أولى من الشيخ في التعلم ومن الواجب ان نعلمه فان العلم سبيل الرقي والنهضة ، ولقد قيل لأبي عمرو ابن العلاء هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ، قال : إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي اخرج رجال الحضارة وجهابذة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء وافذاذ الفكر امثال ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والرازي والقزويني والخوارزمي والجاحظ وابن النفيس

وابن حيان وابن بطوطة ، هذا كله في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في ظلمات الجهل والفوضوية والهمجية والتأخر ولم ينقذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور الاسلام ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية بإعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم في ذاته ، والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى القارىء بعض ما جاء على لسان فلاسفة العالم ، والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة « سيجريد هونكه » : ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري ، فسيادة أبناء الصحراء ، التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة في نوعها ، وإن الإنسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة ، والتي يحار الانسان في تعليلها وتكييفها .

وقالت « وان اوربا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق أوربا وسائر القارات للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة « كاربنسكي » : إن الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وان الابحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين ، الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا في ظلمات القرون الوسطى .

كما قال العلامة « سديو » في كتابه « تاريخ العرب » : كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى اوربا ، فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » .

هذا وقد نقل عن ليبرى قوله « لولم يظهر العرب على مسرح التاريخ ، لتأخرت نهضة اوربا الحديثة ، عدة قرون » .

كما نقل عن جوستاف لوبون قوله « ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها بل كان لهم الاثر البالغ في ثقافته العلمية أيضا » .

ان هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء افذاذ ، لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنا وجملة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية ، التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ، ومست القلوب فيها معاني السعادة ، واعتلت في ظلها صروح المجد .

وهذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد ، باقية بقاء الدهر ، مدوية دوي

الآذان ، لا ينضب لها معين ، ولا ينتهي لها مدى ، ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم .

يقول الدكتور جورج سارطون :

« إن المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية ، إذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام ، والعلوم التي حث الاسلام على الأخذ بها » .

ومن هنا استطاع المسلمون في سرعة لم يعهد لها مثيل في تاريخ النهوض أن ينتقلوا من امة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا أساتذة العالم وقادة الفكر ، ورواد العلوم والفنون ، يدرسونها للأجيال المعاصرة ، كأحسن ما يكون الدرس والتعليم ، ويدونونها للأجيال المقبلة ، كأحسن ما يكون التأليف والتدوين ، وينشرونها في شعوب كانت تائهة ، في عماء الجهل وظلمته ، فقد كانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية ، فيأخذون عن علمائها ما شاءوا من أفانين العلوم ، والوان المعرفة ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين إليها مشاعل الهداية .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء ، والطب والفلسفة والزراعة وسائر أنواع الفنون الحضارية .

يقول العلامة « دربير » المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا :

« ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم . لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ومن هنا رأينا الاسلام يدعو الى البحث والتنقيب وتصيد الحكمة والمعرفة أنى وجدت « الحكمة ضالة المؤمن » ، « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت » ، كما رأينا الاسلام يرفع درجة الذين يعلمون ويفضلهم على غيرهم ممن يتقاعس عن التزود من العلم والاغتراف من مناهله ، كما رأينا المسلمين قد اندفعوا الى ميادين العلوم حتى ألموا بكل ما وصل اليه التفكير البشري وزادوا عليه ولم يتحرجوا من تلقي العلم والمعرفة عن غيرهم من الملل الأخرى لان الاسلام اباح لهم ذلك يقول الاستاذ « محمد أسد » وهو رجل اوربي هدى الله قلبه للاسلام :

« لم يقف الاسلام يوما سدا في وجه التقدم العلمي انه يقود الجهود الفكرية في الانسان الى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة وما من دين ذهب أبعد من الاسلام في تأكيد غلبة العقل وبالتالي غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة » .

ولقد جاء الاسلام داعيا الى العلم لأن العلم يرفع من شأن الفرد والأمة . اذ ينبه الانسان الى ما ينفعه وما يضره ولان العالم يعد في نظر الاسلام رفيعا حسيبا اذ الاسلام لا يفكر في نسب او حسب ولأن العلم اساس النجاح في الحياة وبه يستطيع الانسان ان يصل الى ارقى المناصب كما ان بالعلم قلت الفوارق الاجتماعية في الاسلام بل ذابت وظهرت المساواة

في تكافؤ الفرص ولم يكن الفقر أو الحسب عقبة في الوصول الى المراتب السامية والمناصب العالية .

فها هوذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه يزوج ابنة عمته زينب بنت جحش سليلة قريش الهاشمية من مولاه زيد بن حارثة ثم يبعث الرسول بزيد مولاه قائدا لغزوة مؤتة ثم بابنه أسامة قائدا لغزو الروم .

ثم تمضي عجلة الزمن فنرى عمر ابن الخطاب يستعمل على مكة نافع بن الحارث ثم يلقاه عمر فيقول له : من استخلفت على اهل الوادي ؟ . فيقول نافع استخلفت عليهم ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ، فقال : رجل من موالينا عندئذ قال عمر استخلفت عليهم مولى . فقال : نعم انه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض ، فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « **ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين** » . مختصر صحيح مسلم رقم ٢١٠٢ .

ولهذا رأينا المسلمين الأولين اقوياء اعزاء يضرب بهم المثل في العلوم والمعارف ، يقول احدهم يصف الأمة العربية بعد الاسلام : « قوم يضربون في الصحراء لا يعتنى بهم عدة قرون فلما جاءهم النبي صاروا قبلة أنظار في العلوم والمعارف وكثروا بعد أن كانوا قليلين وعزوا بعد أن كانوا أذلاء ولم يمض قرن بعد الاسلام حتى استضاءت اطراف الارض بعقولهم وعلومهم » .

ويقول غيره « استطيع ان اجهر بمنتهى الجرأة بعد ان قرأت كتاب المسلمين المقدس وعرفت ثقافة الاسلام بانه لا يوجد في تعاليم هذا الدين كلمة واحدة او عمل واحد من شأنه ان يعوق تقدم المسلم او يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة . ومن ثم لا يزال كثير مما عرفه العلماء المسلمون وكشفوه واخترعوه في سائر فروع العلم والمعرفة وبخاصة في الطبيعة والكيمياء والفلك والصيدلة والطب والجراحة موضع الاعجاب والفخر على مر الأزمان ، بل ولا يزال حتى اليوم مقدرا كل التقدير من العلماء الغربيين » ، وحسبنا ان يشهد بذلك علماء غربيون ، ليسوا من المسلمين حتى يتهموا بالتعصب للاسلام او بالعاطفة الدينية نحو القرآن فهذا رينورت يقول :

يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوروبا في القرن التاسع عشر مقتبسة من القرآن .

كما يقول احد المفكرين « من الصعب جدا ان نجد علما لا يدين بفضله للاسلام » وليس ادل على اثر الاسلام في المعرفة وانه دين العلم من ظهور طائفة من العلماء والباحثين كانوا جهابذة في العلم وعمالقة في الفكر وروادا في المعرفة قد أوقفوا حياتهم على البحث من امثال ابن الهيثم ، الذي وضع قواعد علم الضوء بعد أن ظل زمنا يبحث في السهول والأودية ، ومن امثال ابن النفيس الذي اجرى التجارب والاختبارات حتى اثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الأوردة

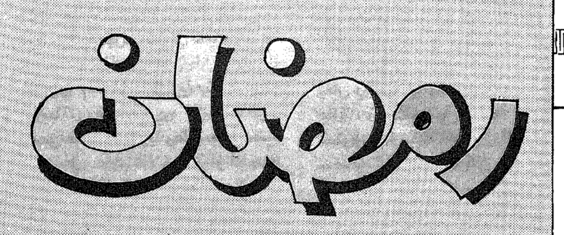
والشرايين المبثوثة في الكائن الحي بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل ان يكتشف « هارفي » الدورة الدموية بثلاثة قرون تقريبا ، وهكذا نرى ابن مسكويه يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والبيلوجيا ، كما نرى جابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، ونرى ابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة .

هذا الى جانب ان وجدنا علماء افذاذا في التاريخ والاجتماع والجغرافيا كالمسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون كما وجدنا علماء للرياضيات من امثال الخوارزمي الذي اسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا وعلماء للفلك من امثال يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر البستاني وابناء موسى بن شاكر . حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا اصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين اسهموا في هذا الميدان .

يقول جوستاف لوبون « ان النشاط الذي ابداه العرب في الدراسة كان مدهشا جدا ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما اظن من سبقهم وكانوا اذا ما استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الاولى الى تأسيس جامع وإقامة مدرسة » . ويستمر لوبون قائلا وعدا مدارس التعليم البسيطة فان المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر والمراصد والمكتبات الفنية ، وكان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكانت مكتبة الخليفة في قرطبة تحتوي كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة الف مجلد ، كان منها أربعة واربعون مجلدا للفهرس فقط . على أنه قد لوحظ ان « شارل الحكيم » لم يستطع بعد اربعمائة سنة من هذا التاريخ ان يجمع في مكتبة فرنسا الملكية اكثر من تسعمائة مجلد .

وهكذا وعلى ضوء هذا كله استطاع الاسلام ان يخرج الى الدنيا فلاسفة وخطباء ومؤرخين واطباء يفخر بهم المسلمون ، وقد افادوا البشرية وأدوا خدمات جليلة للانسانية بمؤلفاتهم ومخترعاتهم التي خطت بالعالم خطوات واسعة نحو التقدم والمعرفة .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان المنبع الاول والأصيل الذي استمد منه الفكر الاسلامي اسباب تقدمه هو القرآن الكريم ، الذي لم يكن كتاب دين يحث على العبادة والتوحيد لله والتقرب اليه فحسب ، وانما كان القرآن الى جانب تأكيده وحدانية الله وما يتبعها من عقائد وعبادات وأوامر ونواه دستورا من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم ، كما لا يفوتنا اخيرا ان نذكر ان العلم هو مرآة نهضة الأمم وعنوان حضارتها وتقدمها ورقيها .



رمضان : أهلا حادي الأرواح ... لعـوالم البـركـات والأفـراح

أكبرت فيك تجلـدي وتصبري ... ومخـافتي من فالق الاصبـاح

فحييت محمود السلوك مسالما ... متنـائيـا عن مـزلق لجنـاح !

فيم النزاع على حطـام زائل ؟ ... أولست معدودا من النصاح ؟

هيهـات يادنيـا أريق فضائـلي ... فأعيش عيش أذلة وشحاح !

أنا عبد ربي قد ملكت جوارحي ... وملأت من نبع الهدى أقداحي

فاذا شعوري بالنعيم مسيطر ... واذا الملائك اخـوتي ببـراح

يسقونني شهد الحقيقة صافيا ... يا فرحتي ! أنا منتش أو صاح ؟

والروح إن تشرق تجد بشعاعها ... فـردوسها بغـدوهـا ورواح !!

رمضان : يا شهر الهداية مرحبا ... يـا موسم الانعـاش لـلأرواح

ما أنت موسم بطنـة وتكاثـر ... إلا لـدى المنهـوم والملحـاح

فشريعة الاسـلام نهج تـرفع ... وتعاظم بالـروح لا الألواح !

وإذا لزمت الدين صرت مؤهلا ... للفـوز بالتـوفيق كـل صبـاح

وأعـدت أرضي حـرة عـربيـة ... والـدين للتحريـر خير سـلاح

وأعنت إخواني ضحايا (كابل) ... والصامدين على أذى المجتاح !

***

الشيب في رأسي أطـل منبئـا ... أن التـزام اللهـو غـير مبـاح

فهـرعت للرحمن أرجـو عفوه ... ومدامعي تدعو جميل سماح !

ربي : بسطت يدا لتوبة تائب ... أتردني في مدمعي ونـواحي ؟

حادي الأرواح

للأستاذ /

محمود عبد اللطيف فايد

من للذنوب يزيل عني عارها ... إلا جناب الغافر الفتاح
من جاءنا رمضان فيض نعيمه ... بل بلسما لمتاعبي وجراحي !
رباه : قد أزف الرحيل فهب لنا ... من صومنا زادا وأقرب راح
واجعله فلك نجاتنا في محشر ... والناس في فزع بأرهب ساح
لم لا أصوم عن الدنايا كلها ... والفحش والتزوير والالحاح ؟
أو بالفسوق تشوه بيض صحائفي ... يا قبح ليل بعد شهر ضاح

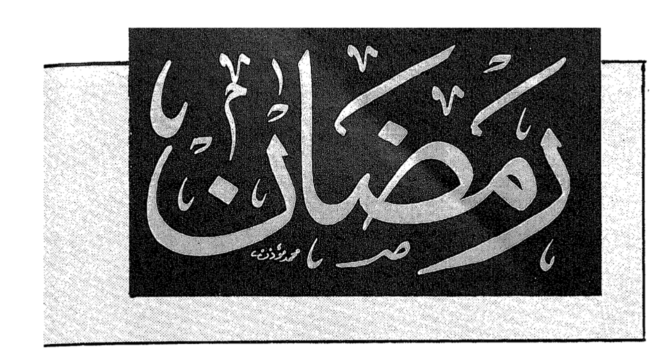
***

رمضان يا شهر الهدى بك مرحبا ... حررت روحي من قبيح جماحي !
وجعلتني عبدا منيبا خاشعا ... وكتاب ربي مؤنسي وقراحي
أحييته في خاطري فاذا به ... من شبه موتى مطلق لسراحي
سحر حييت على بديع بيانه ... وشددت في ترتيله ألواحي
يأيها الذكر الحكيم تحية ... في شهر نور بالهدى فواح
يا فجرنا من بعد ليل دامس ... كم مدلج يحتاج للمصباح !
أنعيش مرضى في ظلام تجاهل ... وعلاجنا دان دنو وشاحي ؟

***

رمضان : يا شهر الفضيلة : هذه ... سبحات روح طوفت ببراح
خذها تحية تائب مستغفر ... وجد الأمان بموكب الصلاح
أسرت إليك شموعه بدموعه ... في موسم البركات والأفراح

***



ارهفوا آذانكم للقرآن الكريم ، فهو يتلو كتاب المجد ..

﴿ وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت/ ٤١ ـ ٤٢ .

﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ الانبياء/ ١٠ .

﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ الزخرف/ ٤٤ .

وصوغوا من جديد ، باسم الله ، يومكم وغدكم في نور الشهر الذي كان مولد خير امة اخرجت للناس ، وميقات اصطفاء الرسول الخاتم ، وابتداء الرسالة المهيمنة .. على رسالات الله جميعا باعتبارها كلمة الله الاخيرة التي لم يعوز البشرية من بعدها الى سواها ، ولن تجد الحياة في غيرها أمنها وهداها ..

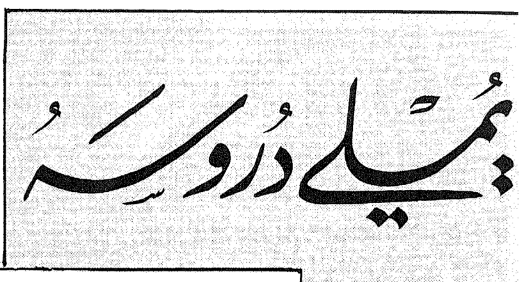
ان المسلمين احوج من اي وقت مضى ، الى اقامة حاضرهم في اضواء ماضيهم ، ليتابعوا المسيرة راشدين على الاساس الذي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اوائلهم عليه ، ملائكة يسيرون على ارض الله ، يتعاونون على البر والتقوى ، ويتناجون بالحق ، ويتواصون بالصبر ، « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ».

واذا جاز لاحد ان يقول في سكر هواه .. قال الشاعر :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها !!

فهو ينتهب اللذات انتهابا ، ثاني عطفه ، غير آبه بماض ، ولا مكترث بآت ، فما يجوز ذلك ولا شيء منه للامة الوارثة التي يهتف بها كتاب ربها . وله الفضل والمنة .. كلما عميت عليها الانباء ، وتداخلت في نظرها مسالك الحياة بما يردها الى ما كانت عليه ، وما هي احق به واهله في قول الله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران/ ١١٠ .



للشيخ / معوض عوض ابراهيم

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدي ابدا ، كتاب الله وسنتي ».

- ان الأفكار والمبادىء تتغير في اقطار واعصار كما تتغير الالبسة ، ويقوم بعضها على انقاض بعض ، ويهيل المتأخر منها على المتقدم التراب ، وتختلف من عصر الى عصر ، وقد يرى الناس في جديد ما يتفتق عنه العقل البشري عوضا عما تركوا من امثاله وفي مجاله ، لكن القيم الاسلامية تبقى ارفع وامنع ، واوف واجمع من ان يرقى الى مستواها سواها ، فضلا عن ان يكون بديلا عنها ، لأنها وضع الله الذي يعلم من خلق وشرع الذي يعلم السر في السموات والارض وهو بكل شيء عليم

وما يستوي وحي من الله منزل وقافية في العالمين شرود ..

ورمضان فرصة متاحة لامعان النظر في هداية الاسلام ، وتأمل وصاياه وتكاليفه والتعرف على المدى الذي اخذنا به انفسنا من ذلك ، والعودة الجادة الى جادة الاسلام في الشهر الذي عرفت الحياة فيه الاسلام ، واستجلت البشرية فيه نور الشريعة الهادية الحانية ، فبددت من غواشيها ، وبثق الأمن في نواحيها ، وكان النبي صلى الله عليه بهذا الدين ، رحمة الله المهداة ، ونعمته المسداة .. اذ ايقظهم من سبات ، ونبههم من غفلات ، وجمعهم من فرقة وشتات ، واخذ بحجزهم فأقالهم مما ترددوا فيه من شرك وضلالات ، وردهم في حنو وايناس الى ما اراد الله لهم من معاني الانسانية ، والكرامة الذاتية ، بالعقيدة الحقة .. **﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾** آل عمران/١٠٣ **﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾** الجمعة/٢ .

- والارتباط بالاسلام ، والتذكير بتوجيهاته في العقيدة وتكاليف العبادة ومنهج السلوك لا يقترن بزمان دون زمان ، ولا بمكان دون مكان ، فحاجتنا الى الاسلام -

واقعا وتطبيقا واخذا والتزاما ـ ضرورية ودائمة ، في شتى شئوننا ومختلف امورنا ، وكيف لا يحكم الأسوياء دينهم ؟! وكيف لا يأخذون منه ما زوده الله به من حوافظ المجتمع ، واسلوب الحياة ، ووسائل الاستقرار والسعة والازدهار ، والله تعالى يقول :

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ الاسراء/ ٩ و ١٠ .

ويقول سبحانه: **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** طه/ ١٢٣ ـ ١٢٦ .

لكن رمضان يجيء كل عام في ابانه ، ليجدد ذكرى الشهر الذي انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان تنزيله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ وجود الامة الفاضلة التي كانت ونبيها صلوات الله عليه وسلامه دعوة ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان القواعد من اول بيت وضع في الارض لعبادة الله وحده ، قال تعالى :

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ البقرة/ ١٢٨ و ١٢٩ . وتلقت الأمة من نبيها أول ما أوحى الله إليه في الشهر الكريم من كتابه: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾** العلق/ ١ ـ ٥ .

فعرف المسلمون منذ اللحظة الأولى ، أن الاسلام دين العلم ، يلحظ المسلم وهو يأخذه جهده ، ويعمل به ، ويبني الحياة على قواعده ، أن الله يراه ، ويعلم سره ونجواه ، فلا يقرأ حين يقرأ لهوى ، أو نزوة أو استعلاء ، ولكنه يقرأ باسم ربه الذي خلقه ، وخلقه كما قال تعالى :

﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ المعارج/ ٣٩

وكرم الله بني آدم ، وشرف الذين اختار لهم مصطفاه صلوات الله عليه وسلامه رسولا وكانوا باتباعه ، والتزام سنته يباهون ويقولون كما روى ابن تيمية رحمه الله :

ومما زادني شرفا وتيها وكدت باخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي وأن صيرت احمد لي نبيا

وحرص المسلمون على تحصيل العلم ، ووهبوه في عصور الخير نشاطهم ،

وذهبوا في شتى فنونه المذاهب البعيدة ، وكانوا بحق الرواد الصادقين لكل من اخذوا منهم ما اخذوا ، فطوروه وطبقوه ، واعترف كثير من علماء الشرق والغرب بفضل السبق لأولئك الأوائل الذين انطلقوا من الاسلام دين العلم الى ما وفقهم الله اليه ، فاقهين دلالة اتزان الايمان بالعلم في آيات ذوات عدد من القرآن الكريم ، وأن الايمان والعمل يسبقهما العلم في دين الله ، والامام البخاري رحمه الله يقول في كتاب العلم من صحيحه « باب » العلم قبل القول والعمل ثم استأنس بقول الله تعالى :

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ محمد/ ١٩ .

ورمضان والقرآن حجتا الاسلام في أنه دين العلم ، كان جبريل يلقي رسول الله عليهما السلام في رمضان من كل عام فيدارسه القرآن ، تلاوة وترتيب آيات ، وتسمية سور ، على الصورة التي حفظ بها الصحابة القرآن وجمع بها في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ، ثم نسخ على أساسها المصحف الامام ، مأثرة ذى النورين عثمان رضي الله عنه ، وكان عمل عثمان ذلك جلاء لعدة الله الكبرى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر/ ٩ .

وبقي القرآن الكريم بعد ذلك وإلى يوم الدين ، وكأن عهده بالسماء السابعة جلالا وسناء ، يلقي الله بذلك كله منه التراب في وجوه أقوام في نفوسهم من القرآن كحز المدى ، وهم يشغبون عليه كالذين حكى الله مقالتهم فقال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾** فصلت/ ٢٦ . وإن زعم المعاصرون بما زيفوا من أفكار ، وبما ادعوا أنهم يميطون اللثام عن بعض ما استكن فيه من إعجاز واسرار ، ألم يقل بعضهم :

ـ فلنرتب القرآن فنكتبه من جديد على حسب نزول آياته ، دونما تواتر عبر الأجيال !!

ـ وقال آخرون إن قول الله تعالى في سورة المدثر « **عليها تسعة عشر** » من خلال الآيات ٢٦ ـ ٣١ التي بدأت بقول الله تعالى « **سأصليه سقر** » فهي في وعيد الله للوليد بن عتبة النار وزبانيتها وأهوالها فيجيء الذين في قلوبهم مرض فيلوون عنق الآيات ليا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون في « تسعة عشر » مالا يتسم وحكمة الله في انزال القرآن انه كتاب هداية لا كتاب احاجي وألغاز ، وصرف للجلى الواضح المنسجم مع السياق إلى ما لا يستقيم في عقل ، ولا صح في نقل ، ولا يثبت بحال أمام النظر المستبصر .

وقال آخر فلنحذف كلمة قل من التي خاطب الله بها مصطفاه في مثل قوله تعالى:

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد﴾ الكهف/ ١١٠ .

﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي﴾ سبأ/ ٤٦ .

لقد طاشت سهام صوبها هؤلاء إلى مصدر الاسلام الأول ، وارتدت إلى نحورهم قسطا وعدلا ، بعد أن كشف الله عما في صدورهم بهذه الألفاظ .: **﴿وما يعلم**

جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ المدثر/٣١ . أيكون الذين يهرفون بما لا يعرفون أعلم بالله وكلماته ، وإن كانوا دكاترة وأباطرة .. من ابن كثير رحمه الله وهو يقول في قوله تعالى :

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ الآية قال :

﴿وما جعلنا أصحاب النار: أي خزانها ، إلا ملائكة: أي زبانية غلاظا شدادا﴾ إلى أخر ما قال وصرح فيه بمضلين ضالين من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم ممن انزلوا الآيات على العقول العشرة والنفوس التسعة التي لم تك إلا اسماء سموها بغير علم من الله ولا برهان !!

لقد اخرج الامام البخاري بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام ، ثم فتح أرمينية وأزربيجان مع اهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما « يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلي إلينا بالصحف لننسخها ثم نردها إليك ، وكان القرآن قد جمع في صحف زمن أبي بكر بعد أن خيف أن يستمر القتل بالقراء في المواطن التي تفرقوا فيها ، وبقي عند أبي بكر حياته ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن - أي رسم كتابة - فاكتبوه بلسان قريش ، فانما أنزل بلسانهم » .

ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة وارسل إلى كل أفق .. إلى قطر إسلامي .. بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » !

وكانت الحكمة في حرق ما سوى المصحف الامام ، خشية ان يكون في وجود غيره من الغلط ما يعلق بألسنة الناس وقلوبهم ، أو تكون سببا للكذب والاختلاف الذي يظل-رغم كل هذا الجهد الكبير - برأسه ، ثم تسحقه حقيقة القرآن ترتيبا ونفقها ..

وإذا كانت همم الأبناء قد قصرت عن متابعة السير بالقرآن تطبيقا وحكما وتشريعا وعلما ، حتى انتقل صولجان العلم إلى غيرهم ، بعد أن أخذوا عنا ما أخذوا وتفتقت أذهانهم عن المفيد الجديد الذي رفعوا به ركائز الحضارة المعاصرة في بعض جوانبها ، وراحت ركائزها الأخرى تعصف بالأخلاق ، وتمتهن القيم والمواريث الصالحة ، ونعوذ بالله كما كان يدعو رسول الله - من علم لا ينفع .. فان بواكير صحوة مباركة تشرق بها الآفاق ، برغم ما ينسج حولها من خيوط الزور ، وما يفترى عليها من أكاذيب ..

وما ينبغي أن تذهلنا الفرحة بهذه الصحوة عن الحذر اليقظان ، أن تنفذ إلى كيانها دسائس الأعداء ومكائد الخصوم ، ووساوس أقوام يلفظهم الحق أبدا يلفظ الجسم ما يحاول أن تلحقه به من المضاد الآخرين ..

لقد آن أن نستقبل رمضان بوعي جديد ، وان نرهف له الأسماع وهو يتلو كتاب المجد ، ويتيح الفرصة لنذكر أنه قادر على أن نعود معه مرة اخرى إلى جادة الاسلام من ضلال وحيرة وضياع ، حين تصح منا العزائم على أن ننزل الاسلام منزله من دنيانا ، فيهيمن على شتى شؤوننا ثقة منا أنه دين الله ووحيه وسبيله إلى عز الدنيا وأمن الآخرة ، وحين يشد الاسلام منا الأواصر ، ونتآخى ونتناصر ، ونعود كعين وأختها وكتف ومعصم ، أمنع من أن تكون عرضا لأعادينا من كانوا وأين كانوا وكتاب الله تعالى يدعونا .

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ آل عمران/ ١٠٣

وما يكون الاعتصام بحبل الله إلا ونحن نستجيب لأمره بطاعته ، والانتصار على أنفسنا بالاستجابة لله ورسوله كما قال تعالى :

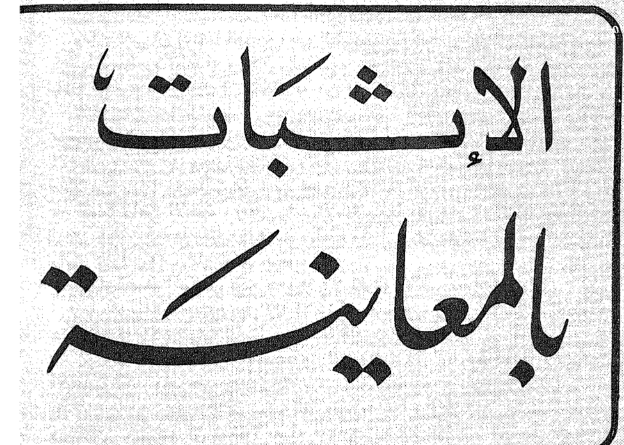
﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الانفال/ ٢٤ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل رمضان فرحا جذلان يناجي ربه « اللهم سلمه لنا وتسلمه منا » والمسلمون يقولون بقوله ، ويحاولون جهدهم أن يعملوا بعمله فنهارهم صائم ، وليلهم قائم في المحاريب بالصلاة الخاصة ، صلاة التراويح ، ويدهم تسخو بالبر ، وألسنتهم بذكر الله رطبة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد المئزر في العشر الأواخر من رمضان ويوقظ اهله ، ويشمر للعبادة ، فيعلم امته كيف تخرج من مدرسة الصوم بمنهج التقوى ، والارادة الخيرة التي ينطلقون بها من النصر على انفسهم وإيقافها عند حدود الله ، إلى ساحات القتال على قلب رجل واحد للنصر على الأعداء في مشاهد الحق ، وميادين إعلاء كلمة الله تعالى .

كان وهب يؤم الناس في قيام رمضان ويوتر بهم فاذا رفع رأسه من الركوع قنت، فيقول :

« اللهم لك الحمد الدائم السرمدي ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك ان تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا » .

ثم يرفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فلا يسمعون ما يقول ، وكان من أئمة اللغة العربية من إذا دخل رمضان هجرا إنشاد الشعر والتمثل به .. وإن من الشعر لحكمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه البخاري في الأدب المفرد ليخلص قلبه ولسانه للقرآن الكريم في الشهر الكريم كما فعل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله .

وطوبى للذين يخلصون في رمضان ومن بعده قلوبهم ومشاعرهم جميعا للقرآن ليصوغهم مرة أخرى صياغة « ربانية » يعودون بعدها (خير أمة أخرجت للناس) .



المعاينة هي أن يشاهد القاضي بنفسه أو بواسطة نائبه محل النزاع بين المتخاصمين لمعرفة حقيقة الأمر فيه .

والمعاينة تختلف عن علم الحاكم المسبق بأنها نتيجة مترتبة على رفع الدعوى في شيء يحتاج الى رؤية ومعاينة ، لبيان الحقيقة ، وادراك الواقع الملموس فيه .

والمعاينة يقوم بها القاضي بصفته قاضيا ، فكأنه نقل محل القضاء من المحكمة الى مكان المدعي به ، وجعله مجلسا للقضاء ، فيعتبر القاضي في عمل رسمي يمارس وظيفته في الكشف عن المدعي به بحضور الطرفين ، ليشرح كل منهما وجهة نظره ، ليستطيع القاضي تكوين قناعته ، ويظهر أمامه الحق جليا واضحا ، ويحكم بالواقعة بناء على هذه المعاينة .

والعلم بمحل النزاع بالمعاينة أقوى من طرق الشهادة والكتابة فيه ، لأن المعاينة دليل مباشر ، باشره القاضي بنفسه ، ويختلف عن القضاء بعلم القاضي الذي يكتسبه بنفسه خارج مجلس الحكم ، وبشكل انفرادي وقبل النظر في الدعوى ، فالمعاينة تشبه الى حد بعيد العلم الذي يحصل عليه القاضي في مجلس القضاء ، مع فارق بينهما ، وهو أن المعاينة تستند الى



رؤية أمور مادية لا مجال الى انكارها ، ولا تتغير أوصافها .

وقد تكون المعاينة في مجلس القضاء نفسه بأن يعاين القاضي المدعى به ، ويقوم بفحصه اذا أمكن احضاره الى مجلس القضاء . ويكون علمه الذي حصل من المعاينة في مجلس القضاء كالعلم في البينة ، وكالعلم في الحلف والاقرار ، وهذا ليس قضاء بعلمه ، وإنما هو قضاء بما يثبت عنده في مجلس القضاء ، كما اذا فحص البضاعة ووجدها تالفة أو فاسدة ، وكما اذا رأى البنت التي لم تبلغ ١٧ سنة ، ووجد أن جسمها يتحمل الزواج مثلا ، تطبيقا لنص قانون الأحوال الشخصية السوري بأن أقل سن للزواج عند البنت سبع عشرة سنة ، ويجوز زواجها وهي بنت خمس عشرة سنة اذا كان جسمها يتحمل ذلك ، فيطلب القاضي رؤيتها ليحكم بصلاحها للزواج أم لا .

وتتحقق المعاينة أيضا والحكم بها في مسائل الحسبة ، بحيث إذا رأى القاضي منكرا أو شاهد مخالفة للشرع ، أو أبصر غشا في السوق فانه يعتمد على معاينته ، ويحكم بموجبها ، وهو ما يطبقه رجال التموين والشرطة والأمن اليوم .

وان المعاينة لم يعقد الفقهاء لها

بابا مع وسائل الاثبات ، لكنهم ذكروا بعض الحالات التي تحتاج الى المعاينة في أبواب الفقه المتفرقة ، ويجب على القاضي أن ينتقل الى معاينتها ، أو أن يرسل نائبه أو أمينه للنظر فيها ، ونقل صفة المدعى به الى القاضي ليصدر الحكم فيها ، والقاضي بالخيار بأن يذهب بنفسه ، أو أن يستخلف غيره ، فيبعث خليفة عنه للرؤية والمشاهدة .

فان كان المدعى به من المنقولات التي لا يمكن نقلها الى مجلس القضاء الا بمؤونة وكلفة ، أو كان من العقارات الثابتة ، فان القاضي ينتقل الى مكان وجودها لمعاينتها وللتحقق من ادعاء المدعى فيها ، أما اذا كان المدعى به من المنقولات التي يمكن احضارها بدون كلفة ولا مؤونة فان القاضي يعاينها في مجلس القضاء ، ولا يعتبر ذلك حكما بعلمه ، مثل معاينة العيب في المبيع ، وتلف البضاعة وغيرها .

ومثال **القسم الأول** : اذا حكم على الزوج بتهيئة البيت المناسب للزوجة « البيت الشرعي أو بيت الطاعة » ثم ادعت المرأة بأن البيت الذي أعده لسكناها غير صالح ، فالقاضي يذهب بنفسه ليطلع على البيت ، ويحكم بعد معاينته بالمناسبة أوعدمها .

وهذا يدل على مشروعية المعاينة باتفاق الفقهاء ، ويؤيد ذلك قصة أبي سفيان ورجل من بني مخزوم عندما تحاكما الى سيدنا عمر ، فقد أخرج ابن التركمان في الجوهر النقي وابن عبد البر في التمهيد عن عروة وعن مجاهد أن رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب أنه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا من مكة . فقال عمر : اني لأعلم الناس بذلك ، وربما لعبت أنا وأنت فيها ونحن غلمان ، فاذا قدمت مكة فائتني بأبي سفيان ... ، فقال له عمر : يا أبا سفيان ، انهض بنا الى موضع كذا ، ونظر عمر ، فقال يا أبا سفيان ، خذ هذا الحجر من ههنا ، خذه لا أم لك ، وضعه ههنا ، فانك ما علمت قديم ظلم .... فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه .

فلو لم تكن المعاينة مشروعة لما ذهب سيدنا عمر الى ذلك ، قال الامام السرخسي : وللقاضي أن يلزمه بمعاينة سبب ذلك ، لأن معاينة السبب أقوى من افادة العلم من اقرار المقر به ، وهذا اذا رأى ذلك في مصره الذي هو قاض فيه ؛ فأما اذا رأى ذلك قبل أن يتقلد القضاء ثم استقضي ، فليس له أن يقضي بعلمه في ذلك عند أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : له أن يقضي بعلمه في ذلك ، لأن علمه بمعاينة السبب لا يختلف بما بعد أن يستقضي وقبله ، وهو أقوى من العلم الذي يحصل له بشهادة الشهود ، فان معاينة السبب تفيد علم اليقين ، وشهادة الشهود لا تفيده ذلك .

* الاثبات بالمعاينة في القانون :

أما القانون الوضعي فقد أجاز للمحكمة حق اللجوء الى المعاينة من نفسها أو بطلب الخصوم ، وجعل المعاينة من أهم الوسائل العادية ،

لأنها تمكن المحكمة من معاينة محل النزاع بنفسها ، وتكون اعتقادها عن المدعي به لاستخلاص الحكم فيه ، وقد تكون المعاينة في بعض الأحوال الدليل القاطع الوحيد في الدعوى ، وهذا ما بينه قانون البينات السوري مع بيان الاجراءات المقررة لاجراء المعاينة وتحديد وقتها ، وتحرير محضر فيها ، والاستعانة بخبراء فيها « المواد ١٣٤ ـ ١٣٧ » .

وهذا مما يتفق فيه القانون مع الشريعة تمام الاتفاق في الأخذ بالمعاينة والاعتماد عليها في وسائل الاثبات .

ولكن يصعب على القاضي في بعض الحالات الفنية الدقيقة معرفة الحقيقة فيها ، فيستعين بأهل الخبرة والتجربة ، فهل تعتبر معاينة أهل الخبرة مثل معاينة القاضي ، وتكون دليلا وحجة في الاثبات والحكم والقضاء ؟ والجواب عن هذا السؤال هو موضوع الخبرة .

* الاثبات بالخبرة ؟

الخبرة لغة : هي الاختبار ، وهو العلم بالشيء على حقيقته ، والخبير العالم ، والخبرة هي الاخبار عن حقيقة الشيء المتنازع فيه بطلب من القاضي ، والخبرة عامة تقدم في جميع المجالات العلمية والعملية ، ولا يهمنا من ذلك الا الخبرة التي تقوم عن أمر متنازع فيه أمام القضاء لاختلاف الخصوم فيه ، وادعاء كل منهما الحق لجانبه ، فيطلب القاضي ممن يثق بهم ويعتمد عليهم معرفة حقيقة الأمر بتجرد ، وتقديمه الى القاضي ، دون تحيز لأحد أطراف النزاع . فاذا قدم أحد الخصوم خبرة فلا تقبل منه .

وقول الخبير إخبار يحتمل الصدق والكذب ، ولكن خبره يعتمد على معرفة حقيقة الشيء وفحص كنهه نتيجة لتجاربه واختصاصه في ذلك وممارسته وقيامه بهذا العمل ، ولذلك فلا يشترط فيه العدد ، وقال بعض الفقهاء : لا تشترط فيه العدالة أو الذكورة .

وقد ذكر الفقهاء كثيرا من الأحكام التي يجب الرجوع فيها الى أصحاب الاختصاص والخبرة في مختلف فروع الفقه ، فاذا اختلف شخصان في نسب ثالث رجعوا الى قول القائف ، وعند الاختلاف في عيب المبيع يرجع الى أهل الخبرة في تحديد العيب ومقداره ، وهل هو قديم أو جديد ؟ وفي ادعاء التزوير في الخطوط والكتابة نلجأ الى أهل الخبرة في مضاهاة الخطوط ، ونقبل قول القاسم والخارص في الشهادة في الثمار ، ونقبل قول الأطباء في الجنون والعته في دعوى الحجر عليهما ، وهكذا في معظم الحالات ، فان الأمور الفنية والعلمية والدعاوي الدقيقة التي لا يستطيع القاضي معرفة حقيقتها بناء على اطلاعه وثقافته الخاصة فانه يرجع الى أهل الخبرة والاختصاص ، لأن أحوال الكون لا يمكن لانسان أن يلم بها ، وانما يتخصص في كل فرع منها فريق من الناس يدرسون حالاته ويعرفون خباياه ، ويطلعون على تفصيلاته ،

سواء في ذلك أحوال الانسان، وأعراض الحيوان، وصفات الأشياء، وخواص المواد، وتكوين العمران، فاذا حصل في هذه الأمور الخاصة خلاف بين شخصين، وأراد القاضي الوصول الى الحقيقة فيها، فانه يستعين بأهل الخبرة وأصحاب التجربة في ذلك. ويأخذ برأيهم، ويكون رأي الخبير هو الوسيلة في الاثبات، في النسب والعيب والصحة والمرض والجروح والضرر وغيرها، كما أن أعمال الخبير تكون هي المستند في الدعوى.

والأصل في كل ذلك قوله تعالى: (**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**) الانبياء /٧، فالخبرة والعمل بمقتضى ما يراه الخبراء مشروع باتفاق الفقهاء، وأن فروعهم الفقهية المختلفة تدل صراحة على مشروعيتها واعتبارها في الاثبات، وللحكم بموجبها، وان لم يعقدوا لها بابا مستقلا.

ولتوضيح ذلك نذكر بعض الفروع المتفرقة في أبواب الفقه:

١ - **الرد بالعيب**: اذا ابتاع شخص من آخر دابة أودارا، ثم ظهر عيب في المبيع لم يذكره البائع، ولم يسبق للمشتري رؤيته، وكان العيب يؤثر في رضاء المشتري ويخل بقيمة البيع، فأراد المشتري رده، فأنكر البائع العيب، ورفض رد المبيع، فترافعا الى القضاء، فيجب على القاضي الرجوع الى أهل الخبرة والاختصاص للنظر في العيب الخفي وتحديده فيما اذا كان قديما، ليحكم القاضي للمشتري برد البيع، أو كان حديثا عند المشتري فترد الدعوى ويثبت البيع، ويكفي في الخبرة الواحد، والاثنان أولى للاحتياط، ويجوز الرجوع الى النساء، لأنه يجوز من المرأة الخبر والفتيا، قال ابن فرحون: « ونجيز شهادة أهل المعرفة في اختلاف المتبايعين في صفة المبيع ».

٢ - **عيوب الزواج**: اذا تزوج شخص بامرأة بكر على مهر معين، وتبين أنها ثيب، وطلب من القاضي التفريق والحكم على المرأة للتغرير به، وأنكرت المرأة ذلك، فتعرض على القابلة أو الطبيب المختص لبيان حقيقة الأمر، والفصل فيه بناء على نتيجة الفحص، وكذلك الحال اذا ادعى الزوج القرن والرتق وغيرهما، فان القاضي يؤجل الزوج سنة كاملة لتمكينه من الاتصال بزوجته خلال فصول السنة المختلفة، فاذا أصرت الزوجة على دعواها بعد ذلك، فانها تعرض على أهل الخبرة في ذلك، فان قالوا: لا تزال بكرا، فرق القاضي بينهما.

٣ - **يرجع الى الأطباء** المختصين بالجراحة في معرفة طول الجرح وعمقه وعرضه عند دعاوي الجروح، ويرجع الى أهل المعرفة من النساء أيضا في قياس الجرح وقدره اذا كان مما تجوز فيه شهادة النساء.

٤ - **يرجع الى أهل المعرفة في** عيوب الدواب، ويقبل قول البيطار في عيوب ومرض الدابة، وكذلك يرجع الى المختصين في عيوب الدور وما فيها

من الصدوع والشقوق وسائر العيوب ، ومثله عيوب السيارات والآلات الحديثة ، فان القاضي يستعين بأهل الخبرة والاختصاص .

٥ ـ يرجع القاضي الى أهل المعرفة من التجار في تقويم المتلفات وعيوب الثياب .

٦ ـ يرجع الى أهل المعرفة بالجوائح ، وما ينقص من الثمار ، ولمعرفة مالا يتكرر سببه ، أو مما يتكرر في التنازع بين الخارج وذي اليد ، قال ابن نجيم : « فان أشكل يرجع الى أهل الخبرة » .

٧ ـ ويرجع الى أهل المعرفة بمسائل الضرر بما يحدثه الانسان على جاره في الطرقات والبناء وحقوق الجوار ، ومثل ذلك يقبل الخارص الواحد فيما يخرصه عند الامام مالك ، ويقبل قول الملاح في القبلة اذا خفيت أدلتها ، وكان عدلا عارفا السير في البحر ، وكذلك من كانت صناعته في الصحراء وهو عدل ، وكذا خبر الواحد في دخول الأوقات .

وهكذا كل ما قبل فيه قول الشخص الواحد فانه من قبيل الاخبار الذي يقبل أمام القضاء لما تحف به من القرائن التي تجعل سبيله الخبرة ، قال أبو الوليد الباجي : احتج أصحابنا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع السلب الى أبي قتادة بقول واحد دون يمين ، فدل على أنه يقبل فيه الواحد ، وان كان كذلك فيكون طريقه الخبر لا الشهادة .

قال العز بن عبد السلام : « الاعتماد على قول المقومين العارفين بالصفات النفيسة الموجبة لارتفاع القيمة ، وبالصفات الخسيسة الموجبة لانحطاط القيمة ، لغلبة الاصابة على تقويمهم ، وكذلك الاعتماد على قول الخارصين لغلبة اصابتهم في ذلك ، حتى لا يكادوا يخطئون » .

ويعتبر من الخبرة جميع الكشوف والعمليات والاجراءات العلمية والمختبرات التي يقوم بها أخصائيون في معرفة حقائق الأشياء المتنازع فيها ، وأهم هذه الأمور الطب الشرعي ، ويراد به العمليات التي يقوم بها أخصائيون لتحليل الدماء وفحص البصمات والكتابات والملابس لمعرفة أصحابها وفحص الحرائق لمعرفة أسبابها ، والقنابل لمعرفة مصدرها ، حتى فحص التراب والحجارة وما يمكن أن يترك أثرا ، وقد أقيمت المعامل والمعاهد لهذه الغاية ، ونستطيع أن نجد له أمثلة في التاريخ الاسلامي فالامام علي كرم الله وجهه ميز بياض البيض عن المني باستعمال الماء الساخن عندما اتهمت امرأة شابا باغتصابها .

وان تقدم العلوم وتفرع البحوث وزيادة التخصص ، وتقسيم العمل في جميع فروعه ، يؤكد الحاجة إلى الخبرة وفائدتها وأهميتها ، فان القضاة بأشد الحاجة الى أهل الخبرة والاختصاص في جميع الأمور اليومية اذا أرادوا الوصول الى حقائق الاشياء ، فيطلبون الاستعانة بذوي الاختصاص في النواحي العملية والتطبيقية في مجال العمران والتقدم وأعمال الدولة والظواهر العلمية .

والخبير يبين حقيقة الشيء بعد التجارب والبحوث العلمية التي استغرقت سنوات كثيرة في حياته ، بحيث يزول معه العامل الشخصي تقريبا ، وبذلك يكون رأي الخبير هو الخبرة ذاتها ،! ولا ينظر الى التكوين الشخصي له ، وخاصة اذا كانت الخبرة معتمدة على الآلات العلمية والطرق المادية والظواهر الثابتة المسلمة ، ويقدم رأيه بناء على النظر والاستدلال .

ويشترط في الخبير أن يكون من أهل المعرفة فعلا في صنعته ومهنته واختصاصه الذي يسأل فيه ، ولا يشترط فيه غير ذلك عند المالكية الذين قالوا يصح من الرجل والمرأة والمسلم والكافر والفاسق ، ولا يشترط فيه العدد ، فيجوز الرجوع الى خبير واحد أو أكثر ، لأنه يشبه الشهادة من جهة ، لأنه الزام معين ، ويشبه الرواية من جهة ثانية لأنه إخبار ، ويشبه الحكم من جهة ثالثة لأن حكمه ينفذ .

وانما يشترط العدد أو العدالة عند المالكية اذا تعلق بالاخبار حد من الحدود كتقويم المسروق ، أو تعلق به عبادة كالهلال في رمضان ، فيشترط اثنان عدلان ، لأنه من باب الشهادة عندهم .

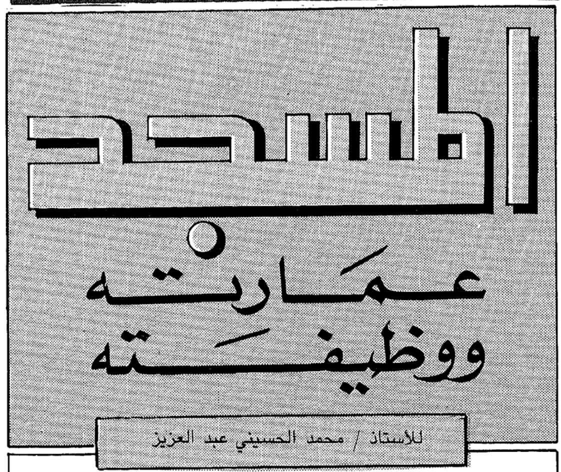
وكذلك قال الحنابلة يقبل قول الواحد ، والاثنان أولى ، فيقبل قول طبيب واحد في الجروح والأمراض ، وقول بيطار في الدواب وغيرها ، وتقبل شهادة امرأة واحدة عدل فيما لا يطلع عليه الرجال ، كعيوب النساء تحت الثياب والبكارة والثيوبة والحيض والولادة والرضاع والاستهلال ونحوه ، وكذلك جراحة وغيرها في حمام وعرس ونحوهما مما لا يحضره الرجال ، والأحوط اثنتان ، خروجا من الخلاف ، وتعتبر شهادة المرأة في هذه الحالات من قبيل ابداء الخبرة فيما يختص بها .

ونرى أن كل شهادة أجازها الفقهاء بدون نصاب فهي من قبيل الخبرة ، كالقابلة وغيرها .

واذا تعدد الخبراء ثم اختلفوا في الرأي أو اختلف القومان ، أو اختلف القائفان . فاما أن تسقط أقوالهما لتعارضها ، واما أن يقضي بأعدلهما . أو يعين خبير ثالث ليعمل بقوله .

* الخبرة في القانون الوضعي :

الخبرة وسيلة هامة في الاثبات القانوني ، والأصل أن الاستعانة بالخبرة أمر اختياري للقاضي حسب تقديره ، وللمحكمة مطلق الحق في تقدير ما أدلى به الخبير ، بالأخذ برأيه أو رفضه ، ورأي الخبير لا يقيد المحكمة ، ولها أن تحكم بما يخالفه ، لأنها تقضي بما تقتنع به وترتاح اليه ، ولها أن تناقش الخبير ولو بنى حكمه على اعتبارات مقبولة ومعقولة ، ولا جديد في القانون في موضوع الخبرة الا ما نص عليه من الاجراءات الخاصة بهذا العمل مما تقتضيه الظروف ، وتوجبه المحكمة في العمل ، وهو ما جاء مفصلا في قانون البينات السوري ، « المواد ١٣٨ ـ ١٥٧ » .



للأستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

اقام المعمار المسلم المساجد ، لتتناسب مع متطلبات الانسان المسلم ، وتتفق مع طبيعة البيئة وتتلاءم مع الظروف المناخية ، وتراعي الظروف الدينية في توجيه المسلمين في صلاتهم الى جهة معينة فقد كانت تتجه الى بيت المقدس شمالا في اول الامر ، فلما كانت السنة الثانية من الهجرة امر الله نبيه ان يولي وجهه صوب المسجد الحرام ، ولهذا نجد ان مسجد قباء له قبلتان احداهما في الجهة الشمالية والاخرى في الجهة الجنوبية صوب المسجد العتيق بمكة .

أولا : ايوان المحراب والفناء :

وقد روعي في تصميم عمارة المسجد هذا النظام والتنسيق ، فلما حولت القبلة الى الجنوب اقيمت سقيفة ناحية الشمال ليستظل بها المسلمون كما شيدت سقيفة في الجهة الجنوبية (ايوان المحراب) واصبح للمسجد سقيفتان احداهما شمالية والثانية جنوبية ثم اقتضت ظروف التنسيق ان يوصل بين هاتين السقيفتين باخريين شرقية وغربية ، واصبح للمسجد فناء

في الوسط يحف به من كل جانب سقيفة او ايوان ، وغدا هذا التصميم هو اساس تصميم المساجد في الاسلام فلا بد للمسجد من فناء وايوان محراب وباب في الشمال يتعامد مع محور المحراب او منتصف حائط القبلة ثم فتح في كل من الجهة الشرقية والغربية باب في منتصفهما ليدخل منه المصلون .

ثانيا : المحراب :

كان الرسول الكريم يتقدم صفوف المسلمين ليصلي بهم اماما وخلفه جموع المؤمنين ، ولم يكن محراب مسجد المدينة مجوفا بل كان مسطحا ، ولم يشيد محراب مجوف الا في العقد الرابع اي بعد اربعين سنة ليقف فيه الامام ولا يأخذ مكانا ، ويصطف المصلون خلفه في صفوف منتظمة ، كما فتح في جدار القبلة بجوار المحراب باب ليدخل منه الامام ، الذي كان بيته يشيد بجوار جدار القبلة بحيث لا يتخطى صفوف المصلين ليصل الى مكانه بالمحراب .
ولما زاد رخاء الدولة الاسلامية وعظمت ثروتها بولغ في زخرنة المحراب فصار يبنى من الطوب المحروق ، ويكسى بالرخام المتعدد الالوان او بالفسيفساء النادرة الجميلة ، وتعلوه او تحف به آيات من كتاب الله مثل قوله سبحانه (**فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

والآية الكريمة : (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**) البقرة ٢٣٨ ، و:(**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) النساء / ١٠٣ وسجل الحكام الولاة اسماءهم ونقشوها على المحراب تخليدا لذكراهم ، وكانت الكتابة تتنوع حسب العصر فكانت بالخط الكوفي او الكوفي المزهر بالاضافة الى الزخارف النباتية والهندسية ،

ثالثا المنبر :

كان مسجد النبي في المدينة المنورة لا منبر له حيث كان عليه الصلاة والسلام يخطب مستندا الى جذع نخلة ثم اتخذ منبرا من خشب الأثل يتكون من ثلاث درجات ، حيث كان يجلس على الدرجة الثالثة وقدماه الطاهرتان على الدرجة الثانية ، ولما تولى ابو بكر الخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام كان يجلس الصديق على الدرجة الثانية ورجلاه فوق الدرجة الاولى ، ولما ولى امور المسلمين امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يجلس فوق الدرجة الاولى ورجلاه على ارضية المسجد .
وتطور المنبر وعظمت اهميته لانه المكان الذي كان يحظى بجلوس النبي الكريم ومن فوقه يستمع الناس الى شرح لامور دينهم ، كما ينادي من فوقه للجهاد والتطوع لقتال اعداء الله ورسوله وتفنن الصانع في تنميق المنبر وزخرفته فصنع من خشب الساج ، ثم

اتخذ من قطع هندسية مكعبة او اشكال سداسية او خماسية الى جانب زخارف نباتية على هيئة الشجر واغصانه ، فضلا عن الآيات القرآنية ، ومن الأمثلة على الزخرفة المنبرية ، عديد من المنابر المتقنة الصناعة الجيدة الزخرفة ففي مسجد العمري بمدينة قوص بصعيد مصر منبر رائع ينسب الى ايام الخليفة الحافظ الفاطمي نقشت عليه : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) النحل / ١٢٥ بخط كوفي مورق .

وهكذا جاء اهتمام النجار بصناعة المنبر وزخرفته لانه من افضل الاماكن التي تدعو الناس الى الامر بالمعروف والتحلي باخلاق القرآن والصفات الحميدة .

رابعا : المنارة :

لم يكن للمسجد النبوي وقت بنائه مئذنة ، فقد كان بلال مؤذن الرسول يؤذن للصلاة من فوق سطح مجاور للمسجد النبوي ، ولما رأي المسلمون برج معبد دمشق مرتفعا ويمكن الاستفادة منه لهذا الغرض ، وسمع الناس في دمشق الأذان هرعوا للصلاة ، وبدأت استخدام الابراج المربعة منارات للاذان ، وانتقل هذا الى شمال افريقيا (بالقيروان) وبالاندلس ولا زال اسم صومعة معروفا عن المنارة في هذه البلدان .

وتطور شكل المنارة في شرق الدولة الاسلامية فاصبحت لها قاعدة مربعة تعلوها قاعدة اخرى مثمنة وثالثة مستديرة وبين كل طبقة واخرى اقيمت شرفة ليقف بها المؤذن اثناء الاذان ..

كما اتخذت المنارات في فارس وبلاد الافغان انماطا اخرى ، فكانت هناك منارات مستديرة كالمدخنة او رفيعة ذات قمة مدببة كالمنارات العثمانية التي تشاهد في مساجد اسطنبول وغيرها ، وكان المؤذن يصعد الى المئذنة عن طريق درج داخلي اما منارة جامع سامرا التي شيدها الخليفة المتوكل فكان يصعد اليها من خارجها وعلى مثالها شيدت منارة جامع ابن طولون بمدينة القطائع بالقاهرة .

خامسا : مكان الوضوء :

هذا الجزء ضروري في المسجد وأحد عناصره الهامة ، فكان يجلب الماء الى المسجد عن طريق قنوات تتصل بمياه جارية او يرفع من بئر يحفر في احد اركان المسجد ، ليتوضأ المصلي ويتطهر قبل كل صلاة

، وهذه الميضأة تطورت الآن فاصبحت تمتد عبر انابيب من الحديد او النحاس على حين كانت في السابق تبنى وتصنع من الفخار .

سادسا : القباب :

اصبحت القبة عنصرا هاما من عناصر العمارة الدينية للمسجد ومن اقدم القباب قبة الصخرة ببيت المقدس

التي شيدت عام ٧٢ هـ والتي شيدت ايام الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان وكان قطرها نحو ٢٠,٤٤ مترا ، وقد ارتفعت القبة على قاعدة تتكون من قوائم اربعة « دعائم » . بين كل دعامة واخرى اعمدة ثلاثة ، وكلها تحمل ستة عشر عقدا مدببا ترتفع فوقها رقبة اسطوانية وهذه الرقبة هي منطقة الانتقال الى القبة المستديرة او ذات القنوات وغيرها .
وقد تنوعت القباب وابتكر المعمار المسلم انماطا كثيرة فكانت منها البصلية الشكل او المستديرة كما تعددت اساليب منطقة الانتقال فكانت اما ان تقام مثلثات كروية مقلوبة في كل ركن من الاركان او تقام حنايا اشبه بالمحارة على قمة المحارات في الاركان يكون الشكل مستديرا ويغطي المبنى بطاقية القبة . وزخرفت الاجزاء الداخلية من القباب بزخارف كتابية وآيات قرآنية ، واخرى هندسية لتجميلها وهذه الزخرفة يهدف بها المعمار المسلم الى عدم ترك مساحات كبيرة دون زخرفة لان الفراغ ليس مقبولا لدى الفنان والصانع المسلم .
هذه هي العناصر الرئيسية التي يتكون منها تصميم المسجد فالفناء يؤدي الى ادخال الضوء والهواء الى ايوان المحراب ، والمئذنة مكان لدعوة المسلمين للصلاة والمنبر مكان للخطبة ايام الجمع والاعياد والمحراب موضع لوقوف الامام في صدر المسجد او ينادي فيه ويدعو المسلمين للجهاد وقتال اعداء الدين ونشر الدعوة الاسلامية .

وظيفة المسجد :

كانت وظيفة المسجد مكانا لاداء الصلوات الخمس ، وفي رواق المحراب وايوانه كانت تعقد الندوات العلمية والدينية التي يتولى فيها الفقيه شرح غوامض الآيات القرآنية وتفسيرها وشرح الاحاديث النبوية ، ليكون المسلم على الملم بامور الدين وتعاليمه ،؛ ففي المسجد النبوي كان الرسول وخلفاؤه يشرحون الآيات القرآنية وهكذا كان الفقهاء الذين ارسلوا الى الولايات ، فكان ابو موسى الاشعري يؤدي هذه المهمة في مسجد البصرة ايام الخليفة عمر بن الخطاب ، كما تولى هذه المهمة التابعون امثال « المقداد بن الاسود وابو الدرداء » في بلاد الشام ، وكذلك الحال كان في المسجد الكوفي حيث قام عبدالله بن مسعود برواية الاحاديث وقراءة القرآن وتفسيره ، وعلى هذا النحو كان المسجد معهدا للعلوم الدينية ، ولما ظهر الجدل وعلم الكلام وكثر النقاش في المساجد ؛ اقتضى الامر اقامة مدرسة في احد اركان المسجد لتكون مكانا للجدل والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ولغة عربية وغزوات الرسول واخبار الخلفاء ، وعلم الجغرافيا الذي تطور الى دراسة المناخ وطبقات الارض ، بالاضافة الى العلوم العقلية كالكيمياء والفيزياء والطب والصيدلة والنجوم وما اليها .
وهكذا كانت للمسجد أدوار هامة اولها العبادة ثم جاء الدور الثقافي العلمي للمسجد حيث يجلس الطلبة في حلقات

حول استاذ يعلم ابتغاء مرضاة الله ، فكان سعيد بن المسيب القرشي من التابعين الاوائل الذي كان له دور نشط وجهد في مدرسة المدينة الفقهية ، ورفض مغادرة المسجد فلم يبرح مكانه ومجلسه بقرب المحراب ليعظ المسلمين في امور دينهم ودنياهم ، وكان لقرار الخليفة الوليد بن عبد الملك أثره في تشجيع الاقبال على دراسة علوم القرآن وحفظه باعتبارها الاساس الذي يقوم عليه قضاء طلباتهم ونيل عطاياه وعلى نفس الاسلوب في كل المساجد بدأ الدور العلمي وتطور وازدهر ففي المسجد الاموي بدمشق مركز للحركة العلمية والدينية وكذلك في مساجد عمرو بن العاص وابن طولون والازهر في مصر وفي مسجد الزيتونة والقيروان بتونس ، وفي مسجد القرويين بفاس ، وفي المسجد الجامع بقرطبة في الاندلس ، فاصبح لهذه المساجد الاولى في صدر الاسلام حركة دينية ادت الى ظهور مذاهب « المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية » وانتشارها في العالم الاسلامي وبجانب هذا كان الاهتمام بالنحو والصرف والبيان والادب حتى لا يخطىء الانسان في قراءة القرآن .

وفي رحلات الرحالة امثال المقدسي ما يشير الى حلقات الدراسة والمناظرات التي كانت تعقد في المساجد بين وقت وآخر ، فقد ذكر انه حضر احداها بقوله كنت يوما في مجلس ابي الميكالي رئيس نيسابور حين حضر الفقهاء للمناظرة التي كانت تتم وفق اصول ثابتة وهي احترام المسجد ومراعاة لقدسيته » .

وقد كان الدين الحنيف حافزا للعرب والمسلمين على طلب العلم والتفكير في خلق السموات والارض ، ادراكا منهم بقدر العلماء ومكانتهم والتأمل في الكون واسراره مشجعا لمواصلة التعمق والتحصيل العلمي **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** المجادلة / ١١ ولانه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودعوة القرآن الكريم للرسول صريحة وللمسلمين كافة .

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) آل عمران / ١٦٤ كل هذه الآيات كانت سببا فيما توصل اليه العرب من تقدم حتى اصبحوا روادا في ميادين العلم المختلفة ولم يقتصر دور المسجد على الدين والعلم بل كانت تعقد به مجالس القضاء للفصل بين المتخاصمين طبقا للكتاب والسنة النبوية .

كما كانت تعقد فيه ألوية الجهاد .

وهكذا فقد حملت المساجد رسالة سامية دينية وعلمية وقضائية وساهمت في حفظ التراث العربي فمكتباتها كانت تضم انفس المخطوطات وظلت مشاعل تضيء وقبسا يحتذي ومنهلا فياضا للفكر والعلم والدين ومنارا للمعرفة واسهمت في تقدم الحضارة الانسانية وازدهارها .



النفاق خلق ردىء ووصف خبيث ، تتلوث به الانفس الدنيئة الفاسدة الفطرة فلا يرى اهلها وسيلة الى مطامعهم في المال ومطامعهم الى الجاه الا الكذب والرياء ، ولقاء الناس بوجوه مختلفة ، والتصنع والخداع ولين القول ، كما قال تعالى فيهم

« واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » المنافقون/ ٤ وهم يوجدون في كل شعب وكل قبيلة لا تخلو منهم بادية ولا حاضرة .

والنفاق صفة النفوس الضعيفة

الملتوية التي تضعف عن المواجهة ، فتلجأ الى الدسيسة ، وتصعب عليها الاستقامة فتداور وتحاور وتتثنى كالديدان والحيات .

والنفاق قسمان/عقيدة وعمل ، فان كان في إبطان الكفر وإظهار الايمان فهو نفاق العقيدة والا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه .

والنفاق يتكون من خصال كما أن الايمان يتكون من شعب . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان » وروى ايضا بسنده عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » وقال سائل سائل كيف جاءت خصال النفاق في الحديث الاول ثلاثا وفي الحديث الثاني اربعا ؟

وفي الجواب عن ذلك نقول : قد جمع العلماء بين الحديثين فقالوا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم ربما اخبر ببعض العلامات في وقت وببعضها في وقت آخر : وقال النووي : حصل من مجموع الروايتين خمس خصال ، لانهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الامانة وزاد الاول الخلف في الوعد ، وزاد الثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة ، وقال العيني : انها بالنظر الى الحقيقة ثلاث ، وان كانت بحسب الظاهر خمسة ، لان قوله : « اذا عاهد غدر » داخل في قوله : « اذا ائتمن خان » وقوله : « اذا خاصم فجر » يندرج في الكذب في الحديث .

وانما خص الشرع هذه الخصال بالذكر لأنها منبهة على ما عداها ، إذ اصل الديانة منحصر في ثلاث : القول والفعل والنية ، فنبه على فساد القول بالكذب ، وعلى فساد الفعل بالخيانة ، وعلى فساد النية بالخلف ، إذ الخلف المذموم شرعا ما كان مبنيا على العزم وسبق الاصرار بان اقترن الوعد بالعزم على الخلف ونية عدم تنفيذه ، اما لو كان عازما على الوفاء فعرض له مانع أو بدا له رأي ، فهذا لم توجد فيه صفة النفاق ، يشهد لذلك ما رواه الطبري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وعد الرجل وهو يحدث نفسه أنه يخلف » « اي فهو منافق » وما رواه ابو داوود والترمذي في سننهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي له فلم يف فلا إثم عليه » .

نعم قد توجد هذه الخصال في المسلم المصدق بقلبه ولسانه فكيف يكون منافقا خالصا كما سماه الحديث ؟ لهذا وجه العلماء قوله صلى الله عليه وسلم « كان منافقا خالصا » بتوجيهات كثيرة منها : -

١ - ان المراد من النفاق نفاق العمل لانفاق الاعتقاد الذي هو كفر .

٢ - ان الكلام على التشبيه ، اي كان

كالمنافق الخالص ، لا أنه منافق في الاسلام مبطن الكفر ، فصاحب هذه الخصال شبيه بالمنافق فيها ، اذ النفاق اظهار ما يبطن خلافه ، وهو موجود في صاحب هذه الخصال :

٣ ـ ان هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه وعادة له ، يدل عليه التعبير بـ « اذا » فانها تدل على تكرر الفعل ، والتعبير بـ (كن فيه) يدل على تمكنها منه .

٤ ـ ان الغرض من هذا تحذير من اعتاد هذه الخصال خوفا ان يفضى به الى النفاق فعلا .

٥ ـ ان المراد النفاق في هذه الخصال فقط دون غيرها . ولا جدال في ان المتمسك بالنفاق العملي ، المداوم على خصاله يؤدي به ذلك الى النفاق العقيدي حتما ان لم يرجع عنه .

والنفاق من جهة اخرى ينقسم الى قسمين : خاص وعام ، فالنفاق العام ، هو ما يكون في الدين والدولة ، وخيانة الامة والملة ، واما النفاق الخاص ، فهو الشخص الذي يحاول صاحبه لقاء كل احد بما يرضيه عنه ويجيبه اليه ، ولا سيما الحكام واصحاب الجاه والمناصب والثراء ، الذين يرجو الانتفاع منهم او يخشى ضرهم ، فهو يلبس للصالحين لباس التقوى والصلاح ، ويخلع للفساق جلباب الحياء ، ويفرغ على المتكبرين حلل الاطراء ، وهو أهون النفاقين .

لم وجد النفاق بالمدينة ولم يوجد بمكة ؟ ولم يكن بمكة منافقون لأن كبراء قريش المغرورين بثروتهم الواسعة وجاههم في العرب ، بسدانة البيت الحرام ، واستكبارهم على سائر الناس واسرافهم في التمتع بالكفر وأكل الربا واتباع الشهوات ، اقول : لان كبراء قريش اعتبروا هذا الدين من اول يوم مناهضا لمصالحهم الدينية والدنياوية ، ولسيطرتهم على الحرم ، وكانوا يرون ان الاسلام يسوي بينهم وبين سائر الناس في جميع الحقوق ، ويفضل الفقير المتقي على الغني المسرف في الفسوق ، ويقتص للسوقة من الامراء والملوك ، ويحقر المتكبرين ويكرم المتواضعين ، ويزدري الظالمين والفاسقين فيسلبهم بهذا جميع ما يمتازون به على دهماء الناس ، فلهذا اعلنوا عليه حربا لا مداراة فيها ولا خفاء ، ولهذا كان اكثر من اهتدى به في مكة الفقراء وبعض اصحاب الفطر السليمة والعقول الحرة من الطبقة الوسطى ولأن طبيعة العرب الخلص تأبى النفاق ، فاما ايمان صادق واما كفر ظاهر .

وانما نجم النفاق في المدينة لما يأتي :

١ ـ فقد ظهر الاسلام وفشا في المدينة وأسلم الأنصار بظهور نور هذا الدين القويم ، ولم يكن لهم مصلحة دنياوية تحجب هذا النور عن بصائرهم ، أو تحملهم على مكابرة الحق وجحوده ككبراء قريش ، بيد ان من المعقول ألا يكون نور الاسلام قد ظهر لكل فرد منهم على سواء ، وان يكون منهم من اضطر الى الدخول فيما دخل فيه قومهم مواتاة لهم ، فاضطر افراد كثيرون ـ ومعظمهم من ذوي المكانة في

قومهم - ان يجاروا قومهم احتفاظا بمكانتهم فيهم ، حتى اذا كانت وقعة بدر قال كبيرهم : هذا أمر قد توجه .
٢ - وكان يساكن العرب في المدينة يهود ، وهم قوم مخادعون منافقون بطبيعتهم ، وعنهم أخذ عرب المدينة الذين لم يسلموا هذا الخلق المرذول ، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وصارت له الكلمة النافذة على المسلمين جميعا ، وصارت اليه الرئاسة الدينية والدنيوية والقيادة السياسية والاجتماعية ، حقد عليه وعلى دينه بعض العرب الذين كانت لهم الزعامة في المدينة ، واليهود الذين حقدوا على العرب أن يكون منهم النبي المبعوث في آخر الزمان ، فقد عاهدهم النبي على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم ، ولكنهم كانوا ينقضون عهدهم في كل مرة ويظاهرون عليه المشركين كلما جاءوا لقتالهم ، بل كانوا يغرونهم ويحرضونهم عليه ، فكانوا في اظهار الوفاء بعهده منافقين ، وكان لهم احلاف مع عرب المدينة فحافظ على مودتهم منافقوها ، وتآمر من هؤلاء واولئك فئات على الشر وعداوة الاسلام ولم يكن في استطاعتهم ان يعلنوا عن الحقدوالشر الخبيء في قلوبهم فلم يجدوا بدا من التستر بالاسلام ، يظهرونه ويبطنون الكفر والحقد والضغينة على الاسلام والمسلمين .

زعيم المنافقين وبعض أتباعه :

وقد تزعم هؤلاء رجل من العرب كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ويملكوه عليهم ، فلما انصرفوا عنه ومنهم اهله وولده ، حقد وضغن ونافق وداهن وهو عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ، وانضوى تحت لوائه - لواء النفاق - جماعة منهم ابو عامر ، وكان يقال له في الجاهلية « الراهب » ، ولبس المسوح ، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق » سيرة ابن هشام ومات بالشام غريبا طريدا وحيدا ، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين ، استشهد يوم أحد وهو غسيل الملائكة . وجلاس بن سويد بن الصامت قال ابن اسحاق : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير . ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احب ان ينظر الى شيطان فلينظر الى هذا » ابن هشام في السيرة وكان جسيما ثائرا شعر الرأس احمر العينين اسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله الى المنافقين ، وهو الذي قال : انما محمد أذن ، من حدثه بشيء صدقه فأكذبه الله ، وعباد بن حنيف ، وكان ممن بنى مسجد الضرار . ومربع بن قيظى وكان اعمى ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاز في حائطه وهو ذاهب الى احد : لا احل لك ان كنت نبيا ان تمر في حائطي ، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : لو اعلم

اني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر » ابن هشام وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجه .

وأخوه اوس بن قيظى ، وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد آمن في الجاهلية ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب ، أثخنته الجراح فاستشهد . وهؤلاء من الأوس . ومن الخزرج . رافع بن وديعة ، والجد بن قيس ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو .

ومن المفارقات العجيبة ان عبد الله ابن أبي رأس المنافقين كان له ابن من خيار المسلمين وأصدقهم ايمانا يقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي ، حتى لقد عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتل اباه فأبى النبي وقال : « لا ، بل نحسن صحبته ما دام بيننا » .

وتبع ابن أبي من اليهود قوم اظهروا الاسلام نفاقا وتقية ، منهم سعد بن حنيف وزيد بن الليث ورافع ابن حرملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات « لقد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورفاعة بن زيد بن التابوت ، اخبر النبي بموته مرجعه من تبوك ، ونعمان بن اوفى ، وعثمان ابن اوفى وغيرهم . « **البداية والنهاية ج ٣** »

وهذا الخليط المنافق المزوج من عرب المدينة ويهودها ، وان لم يعلنوها حربا سافرة فقد كانوا اشد خطرا على الدعوة من غيرهم ، لان العدو المكاشف اهون شأنا من العدو المخالط المتستر تحت ستار من الخداع والتمويه ، وكان هؤلاء المنافقون بحكم ظاهرهم يحضرون المسجد ويسمعون احاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ويتسقطون الاخبار وينقلونها الى الأعداء ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد ، فما بيتوا امرا الا اظهره الله وفضحه ، وما دبروا مكيدة الا رد الله كيدهم في نحورهم ، وانزل في شأنهم آيات كثيرة في سور متعددة كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والأحزاب والمنافقون ، وأخيرا معظم سورة براءة ، فما زال يقول فيها « ومنهم » « ومنهم » حتى اخزاهم وكشف نذالة نفوسهم وخبث طواياهم ولؤم طباعهم وفساد نواياهم تجاه الاسلام والمسلمين .

سياسة الاسلام مع المنافقين :

وقد كانت سياسة الاسلام تجاه المنافقين ، ان من اظهر الاسلام يعامل كما يعامل سائر المسلمين لأن قاعدة الاسلام : ان الحكم على الظواهر ، وان الله تعالى وحده هو الذي يحاسب ويعاقب على السرائر ، فهو الذي يعلمها وحده وهو الذي يجازي عليها ولا يباح لحاكم ولا لنبي أن يحكم على انسان بانه يسر الكفر في نفسه ، ولا ان يتهمه بذلك ويعاقبه عليه ، ولا

يثبت الكفر على من ظاهره الاسلام الا باقرار صريح منه او صدور قول او فعل يدل عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن او النبي ، او جحود كونه خاتم النبيين لا نبي بعده ، والشرك بالله بدعاء غيره ، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، لا يقبل فيه تأويل كجحود فرضية الصلاة والحج والزكاة ، او استحلال الزنا والربا وشرب الخمر ، واما حكمة ذلك وفائدته فهي ان من يلتزم شعائر الاسلام واحكامه ولو بغير ايمان يقيني فانه يرجى له بطول العمر ان ينشرح صدره للايمان ويطمئن به قلبه ويوقن به عقله ، والا كانت استفادته وإفادته للأمة دنيوية فقط .

وقد يقال : ان مقتضى حرية الدين التي امتاز بها الاسلام في معاملة اهل الكتاب ـ اذا اقرهم على العمل بدينهم حتى فيما بين لهم انهم خالفوا فيه ما جاء به رسلهم ـ ان يفتح للمنافقين بان يظهروا كفرهم .

ونقول في الرد على هذا : ان الجمع بين اظهار كفرهم وحسبانهم من المسلمين لهم ما لهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجبات ، تناقض لا يقول به عاقل ولا يحكم به عادل ، ومثلهم فيه كمثل من يسمح له بحقوق الجنسية السياسية الوطنية ولا يطالب بالخضوع لقوانينها ولا يعاقب على انتهاكها ومخالفة احكامها ! وانما تكون حرية الدين المعقولة لأهله في دائرة محيطه ، بألا يحاسب احدهم احدا على عقيدته ووجدانه فيه ، ولا اجتهاده في فهمه الا من طريق البحث العلمي ، وليس منها ان يخالف اصوله القطعية التي لا يكون المسلم مسلما بدونها ، ويعد مع ذلك مسلما ، واذن ليس لأحد ان يطالب حكومته المتدينة بالسماح له بالخروج عل دينها ، كما لا يصح له ان يطالبها بالسماح له بالخروج على قوانينها ، فتكون حريته هنا متعارضة مع حريتها هي وحرية أمتها .

وقد يقال : إن القرآن قد فضح بعض المنافقين وحكم بكفرهم ولم ينفذ النبي عليهم احكام المرتدين عن الاسلام ، بل بقي يعاملهم هو واصحابه معاملة المسلمين ، ونقول : إن ما بينه الله تعالى من حال المنافقين إنما كان وصفا لأناس غير معينين بأشخاصهم انذارا وزجرا لهم ، ليعرفوا حقيقة حالهم ويخشوا سوء مآلهم ، عسى ان يتوب المستعدون للتوبة منهم ، وقد تاب الكثيرون منهم بما ظهر لهم من اخبار القرآن عنهم بما لا يعلمه الا الله تعالى من أمرهم . وكان الذين عرف النبي صلى الله عليه وسلم وبعض اصحابه اشخاصهم قليلين جدا كالذين هموا باغتياله صلى الله عليه وسلم ، بتشريد راحلته في عقبة في طريق منصرفه من تبوك ليطرحوه عنها .

نسأل الله أن يجنبنا هذا المرض الخطير المستشري في الأفراد والجماعات وفي الدول والحكومات ، وندعو بدعاء اسلافنا :

« اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش » .



اعداد : سعد عوض المر

الدعاء يحبه الله :

يقول الله عز وجل : (**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**)البقرة / ١٨٦ ، (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) (**وادعوه خوفا وطمعا**) (**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) الأعراف / ٥٥ و ٥٦ و ١٨٠ ، (**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى**)الاسراء / ١١٠ ، (**قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**)

الفرقان / ٧٧ ، (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**) (**هو الحي لاإله إلا هو فادعوه مخلصين**) غافر/ ٦٠ و ٦٥ .

ان هذه الآيات النورانية تبين لنا مقام الدعاء عند الله تبارك وتعالى ، كيف لا .... وقد تجلت فيها هذه الربوبية الكريمة على عباد الله ، وتلك الالوهية الرحيمة على كل الناس من رب الناس القادر على كل شيء .

فقليل من الخلق اذا سألته أعطاك ... أعطاك اذا كان يملك ، بل إن عطاءه هذا قد يكون على مضض ، أو يكون قد سبقه فكر فيما سيعود منك عليه ، وما من أحد طلبت منه وأخذت ولم ينقص .

أما الله سبحانه وتعالى فانه يحب من عباده أن يدعوه دائما ، ويرضى على من يطلب منه ليل نهار ، فكلما زاد االطلب من العبد زاد الرضا من الرب ، لأن العلاقة هنا هي علاقة بين عاطى وآخذ ، عاطى خزائنه لا تنفد وآخذ لايشبع ولا يقنع بل دائما هو الى مطمع ، إنها علاقة بين خالق قوى ومخلوق ضعيف : (**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا**) النساء / ٢٨ .

ان الله جل شأنه يصيب بعض الناس ببعض المصائب أو بعض الشدائد بغية أن يتذكروه ، فاذا تذكروه ذكروه ، واذا ذكروه دعوه ، واذا دعوه عبدوه ، فاذا عبدوه حمدوه ، واذا حمدوه أحبوه ، حينئذ يكشف ماألم بهم من سوء فيكونون بذلك قد كسبوا رضاه : (**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون**) الانعام / ٤٢ ، (**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**) المؤمنون / ٧٦ ، (**وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون**) الأعراف / ٩٤ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين كثيرا على أن يدعوا الله ولا يكلوا في دعائهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**) . رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

الله يأخذ بأيدينا في دنيانا :

لقد خلق الله عز وجل ذلك الانسان ولم يتركه في هذا الكون يواجه هذه الحياة وحده ، فبرحمته جل جلاله وهب له عقلا يستطيع به أن يفكر من أجل ممارسة كرامته التي وهبها الله له ، فبه يستطيع أن ينال قدرا كبيرا من النعم التي تحيط به بأقل جهد بدنى يبذله في سبيل حياة أفضل ينعم بها ، ولقد أسبغ هذه النعمة على جميع الناس وخص المزيد من رحمته على عباده المخلصين الذين يدعونه ، وفتح الباب دون غلق لمن يريد ، ولم يحجب مفاتيح هذه الرحمة عن كافة الناس

لمن يشاء منهم أن يدخل في عباده المؤمنين عندما وعدهم الاجابة حينما يدعونه ليستزيدوا من فضله وليأمنوا من محاذير المقادير ، ان الكافر الذي لا يؤمن بوجود الله هل يكون في طمأنينة أو راحة بال ؟ .... كلا إنه حينما يجد نفسه في مخاطر ، ومحاطا بظروف قاسية ، أو أن يكون قد وقع في مصيبة ، فانه يكون من الصعب عليه أن يجد ملجأ منها الا الاستسلام لها ، فيصير ضعيفا مهينا ذليلا أمامها لاأمل له ولا نجاة ولا مهرب ولا مغيث منها غير الجبن والخوف أو الانتحار ، عكس ذلك المؤمن الذي عرف أن له ربا قادرا وعده أن يستجيب له حينما يفر اليه مستغيثا به رافعا يديه اليه طالبا العون منه ، فهو بقدرته وقوته وجبروته يستطيع أن يأخذ بيد من يدعوه الى بر الأمان وأن ينجيه مما يحذر منه ، ويبعد عنه مايضره : **(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)** النمل / ٦٢ .

الدعاء عبادة :

ان الدعاء عند الله عبادة : **(وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)** غافر / ٦٠ ، فحينما أمرنا ربنا المعبود أن ندعوه ، وبين لنا صفة الذين لا يمتثلون لهذا الأمر بأنهم يمتنعون عن أداء عبادته باستكبارهم واعراضهم عن الدعاء ، حيث أن شعورهم بعدم الحاجة الى طلب المدد من صاحب القدرة والجبروت قد ألبسهم ثوب الباطل والكبر ، أو أنهم ظنوا أنهم قادرون على نفع أنفسهم ناسين أو متناسين بأنهم من صنع الله ، وأن عقولهم التي علموا بها وفكروا بها هي أيضا من صنعه عز وجل ، حيث أنه لا سكون ولا حركة الا به ، وبذا يكونون قد أوقعوا أنفسهم في شراك الشرك الأصغر فيكون الجزاء العادل لهم هو هلاكهم كما ورد بسورة القصص آية / ٧٨ : **(قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا)** .

ان الدعاء عبادة يبتهل بها العبد الى خالقه في أي وقت وعلى أي حال ، والدعاء غير السجود غير التسبيح : **(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)** الأعراف / ٢٠٥ و ٢٠٦ ، فالملائكة الكرام يقومون بالتقرب الى الله عن طريق أفعال ثلاثة : العبادة ، والتسبيح ، والسجود - وهذا يوضح معنى كلمة عبادة التي تتمثل في الدعاء بسبب ورودها بلفظ منفصل ، ولعل الآية ٦٠ من سورة غافر قد قربت هذا المعنى حينما أخبرت بأن الذين يستكبرون عن دعاء الله انما يستكبرون عن عبادته .

هذا وقد قال الحبيب المصطفى

صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) أخرجه ابن حبان ، وقال أيضا : (الدعاء مخ العبادة) أخرجه الترمذي ، وقال أيضا (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات والأرض) أخرجه الحاكم .

فعندما يقف العبد بين يدي الرب يدعوه فانه يكون بذلك قد وصل الى مرحلة العبودية والافتقار اليه جل علاه ، حينئذ يكون قد تأكد بأن له ربا قادرا على اجابة دعوته ، وأنه ملجؤه الذي يفر اليه وقت الشدائد .

ان معنى العبادة في اللغة هي خضوع وخشوع المخلوق لخالقه وكل مايحبه الله من الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة ، فاذا نظرنا الى أركان الاسلام الخمسة نجدها جميعا تتمثل في مناجاة المسلم لربه وكأنه واقف في حضرته وبين يديه ، حقا انه لايراه بعينيه ولكنه يؤمن به بعقله وبصيرته ، ان تلك الاركان ما هي الا دعاء يرفعه العبد الى بارئه راجيا منه أن يتقبله قبولا حسنا ـ فالصلاة دعاء متصل منذ بداية الوقوف حتى نهاية التسليم ، ولا أدل على هذا من أننا اذا ما رجعنا للمعنى اللغوى للصلاة نجده الدعاء ، كذلك الزكاة حينما يؤديها العابد فانه يدعو في نفسه أن يتقبلها الله ، كذلك الحج « والحج عرفة » وما الوقوف بعرفة الا تلبية ودعاء ، كذلك الصيام ماهو الا دعاء مستمر يظل يرفعه الصائم الى الله طول النهار راجيا أن يتقبله قبولا حسنا .

وعجبا لمن ينكر أن العبادة حق لله عز وجل على الناس ، وأنه لم يخلقهم الا من أجلها : (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات / ٥٦ و ٥٧ ، أن العبادة تذلل وخشوع ، خضوع بعشق ، ركوع بشوق ، خشوع بحب ، فاذا الالباب صفت أضاءت البصائر وسجدت القلوب ، فاذا كان القرب كان الحب فيرتفع العبد الى الرب ليصبح مؤمنا خالصا له : (**والذين آمنوا أشد حبا لله**) البقرة / ١٦٥ .

والمؤمن المحب يعبد الله باخلاص ، فاذا كان ذلك كان الدعاء ثم كانت الاجابة ، فما الدعاء الا توفيق من الله رب الانام ، والذي يؤتى الدعاء بسبب حب الله له انما يكون قد اوتى خيرا كثيرا كما ورد في الحديث القدسي : ((ماتقرب الى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه)) رواه البخاري .

ان الله خلقنا كي نعبده ، ولم يرض لنا أن نعبد من دونه ما خلقه من أجلنا ، فليس من العدل حقا أن يصير الانسان ملكا لما يجب أن يتملكه أو أن يصبح عبدا لتلك الماديات التي تحط من سمو روحه ، فلقد وهب الله بني آدم نعمة التفضل والكرامة على كثير مما خلق : (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير**

ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء / ٧٠ .

لذا يجب أن نستقبل هذه النعمة بالشكر الذي يزيدها لا بالجحود الذي يزيلها ، انها عندئذ تكون قضية الشرك الذي يبغضه الله ولا يغفره أبدا ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لذا وجب على الانسان أن يحذر وساوس الشيطان ، فلا يكون عبدا لهواه أو أسيرا لشيء يخشاه : (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** النساء / ١١٦ .

لادعاء الا لله

لادعاء لنبي أو ولي ، ولا وساطة في الدعاء ولا لجوء لمخلوق عند التقرب الى الله ، فالله لايحب أن يكون للعبد ولي من دونه ، لأن في هذا شركا به : **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)** الجن / ١٨ ، **(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته)** الاسراء / ٥٦ و ٥٧ ، **(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)** فاطر / ١٣ و ١٤ ، **(فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)** الزمر / ٢ و ٣ ، **(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)** الاعراف / ١٩٤ ، **(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون)** الاعراف / ١٩٧ .

ان الله عز وجل لا يحب اذا دعاه داع أن يكون بينهما ثالث ، فالله يعلم السر وأخفى ، يعلم ما أخفاه ذلك الانسان من قبل ان ينطق به لسانه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن يجيب على بعض الاسئلة التي تطرح أحيانا عليه الا عن طريق الوحي ، فكانت الآيات القرآنية تتنزل باذنه بالسؤال ثم تليها الاجابة مسبوقة بكلمة (قل) أي قل يامحمد :

(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) البقرة / ٢٢٠ . **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي)** الاعراف / ١٨٧ ، **(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول)** الأنفال / ١ .

ولكن جاءت حالة واحدة فقط تمثلت في سؤال ـ وياله من سؤال : سؤال واحد عندما اقترب منه العباد اقترب الله أكثر فعجل الاجابة عليه حتى من قبل أن ينطقوا به ، بل انه عز وجل أخبر به حينما أجاب عليه ، وجاءت الاجابة عليه مباشرة من الله الى عباده دون أن ترد كلمة (قل) لأن الامر هنا قد تمثل في علاقة بين مخلوق وبارئه ، فاذا وقف بين يديه يسأله

ويرجوه ، كان هذا الوقوف عبادة ودعاء :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة ١٨٦

الدعاء والقدر :

منذ الأزل وأقدار الناس مكتوبة بعلم الله العلي القدير ، فبقدرته سبحانه وتعالى علم ماسيتم منهم من أفعال من قبل أن يتنسموا نسيم الحياة ، بل وقد علم ما سيترتب عليها من نتائج وأحداث ، ولا عجب من ذلك فانه رب الانام وواجد الحياة ، فانت أيها المخلوق قد تستطيع أن تنظر الى السماء فترى سحابة سوداء مثقلة بالماء ، قادمة من هناك فتقول لمن حولك من الصحاب : ان المطر سينزل من السماء بعد ساعة من الزمان ، لقد قلت ذلك بعلمك المحدود الذي رآها سحابة سوداء ليست بيضاء ، جاءت متجهة نحوك من بعيد تسير ببطء شديد ، فاذا ماتحقق ذلك .. هل نقول لك لقد علمت الغيب ؟أو أن لك قوة في اسقاط هذا الماء ؟ بالطبع لا ، فهو علم علمك الله اياه قد جاء من تجارب سبق ان مرت عليك مرات ومرات فعلمت منها أن هناك مقدمات لكل حدث من قبل أن يقع ، فما بالك بعد ذلك تتعجب من أن القدر مكتوب عند الله منذ الأزل ، والله القادر الخالق العليم ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال علام الغيوب ، ألا يستطيع أن يعلم الأقدار .

وكما سبق أن نوهنا من أن أفعال الناس تترتب عليها نتائج وأحداث ، وان تلك الافعال تتم بمحض اختيارهم هم ، لأنه عز وجل أعطاهم عقلا صالحا قادرا على التمييز بين الخير والشر ، ومن ثم كانت حرية اتخاذ القرار نابعة منهم أنفسهم ، وهذا ما نتدبره من الآية العاشرة في سورة البلد : (**وهديناه النجدين**) ، أفلا يكون من العدل بعد ذلك أن يجنوا حصائد ما زرعوا ، ولنقف هنا وقفة ،... ولنتذكر غفورا رحيما ومن ثم وجب علينا أن نغير العبارة الأخيرة ونقول : (أنه ليس من الظلم بعد ذلك أن يجنوا حصائد مازرعوا) ، فما يدريك أن يغفر الله لهم اذا شاء برحمته فقد سبقت رحمته غضبه .

ولكن هل القدر يستطيع أن يرده حذر ؟ كلا ... بل إن الدعاء هو الذي يستطيع أن يغير القدر ، فقد وعد الله عباده في قرآنه أن يستجيب لهم عندما يدعونه ولم يستثن من ذلك تغيير الاقدار أو رفع المصائب أو الشدائد من قبل وقوعها ، وهذا مانستشفه من قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : (لاينفع الحذر من القدر ، ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء) ، وقال أيضا فيما رواه الامام أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه : (لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عباد الله) .

هذا وقد صح عن الرسول صلى

الله عليه وسلم في دعاء القنوت قوله (وقنى شر ما قضيت) وفي هذا الدعاء نلمح طلب رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يحفظه الله من شر القضاء الازلى ، ولو لم يمكن تغييره ماصح أن يطلبه النبي مصداقا لقوله عز وجل في الآية الثالثة في سورة النجم : (**وما ينطق عن الهوى**) .

وكما أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من أن القدر ينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيتصارعان الى يوم القيامة ، وان ما حدث ليونس عليه السلام بعد أن ابتلعه الحوت في بطنه ، لدليل على أن الله قادر على أن يغير الاقدار اذا ما دعاه داع أو اذا كان من يرجو رحمته من المسبحين المناجين له في السراء ، فالله يتجلى باسمه اللطيف المغيث ، الرحمن الرحيم على عبده بسبب ابتهاله له واستمرار تسبيحه لذاته العلية : (**فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) الصافات / ١٤٣ و ١٤٤ .

ان استحالة أن يلفظ الحوت ما ابتلعه بجوار شاطىء بحر تتلاشى مع قدرة الله ووعده عباده المخلصين أن يستجيب لهم اذا مادعوه وان ينجي المؤمن منهم اذا مارفع له استغاثته بقوله : **لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** .

الدعاء الذي لايرد :

حينما يقع الانسان في مصيبة ، وتنقطع أمام عينيه الأسباب ، ولا يرى حوله أحدا من الأحباب ، ولا يجد من كان يراهم من الاصحاب ، وتضيق الدنيا أمام خطاه ، عندئذ تتحطم قلوع نفسه وأمله فوق صخور يأسه وملله ، ويصبح كريشة صغيرة في مهب الريح تعصف به كيف تشاء .

حينئذ لايجد العبد الا الله ولا يجد ملجأ الا اليه ، ولا مغيثا الا هو ، ولا قادرا الا سبحانه ، فيرفع رأسه داعيا طالبا العون والنجاة ، عندئذ فقط يكون اليقين كاملا والاخلاص شفافا ، والامل نقيا والرجوع اليه صادقا ، فيجد السميع المجيب ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى في سورة النمل آية / ٦٢ (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**)

كذلك الراجع الى ربه العائد الى بارئه التائب من ذنبه حينما يدعوه يجده أمامه محيطا به من كل جنب ، كذلك الصائم الذي يرجو رحمة ربه ، كذلك الامام العادل والرجل الصالح ، كذلك الولد البار بوالديه ، كذلك المسلم الذي يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب ، كذلك الذي يخاف الله ولا يأكل الا الحلال يطيب مطعمه فتستجاب دعوته ، اما ذلك المظلوم الذي يدعو الله ويلح في الدعاء شاكيا متوجعا ما أصابه ، رافعا شكواه الى جبار السموات والأرض مستغيثا أن ينصره ، متلهفا أن ينتقم من ظالمه ، آملا في عدل مولاه .. فهل يرده الله صفر اليدين بعد ذلك ؟ لا ... بل يعجل اجابة دعوته في دنياه ، لأنه حرم

الظلم على نفسه فكيف يتقبله أو يقبله من عباده .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لا ترد دعوتهم : الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كيف يتقبل الله الدعاء ؟

كثيرا مايدعو الانسان ربه بشيء قد يكون محببا له في لحظته يريد أن يتحقق ويأمل أن يستجاب له ، وهو لا يدري أن في تحقيقه ستكون الطامة الكبرى وستكون التهلكة والضرر .

وكثيرا ما يحزن المسلم لأنه ألح في دعائه ولم يجد استجابة ، رغم أن دعاءه هذا كان عريضا متواصلا . وقد يصيبه شيطانه ببعض وساوسه فيحاوره عما ورد بالآية الكريمة :

(وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) البقرة / ١٨٦ ، انه يذكره فقط أنه دعا وينسيه أن يسأل نفسه هل هو حقا من عباد الله ؟ فهذا هو الشرط الذي يظهر بالآية الكريمة ، لاجابة الدعاء ، وقد يكون ماطلبه العبد هلاكا له وهو لا يدري ، فعسانا أن نحب شيئا وهو شر لنا وعسانا أن نكره شيئا وهو خير لنا : (**فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ ، وقال تعالى : **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)** البقرة / ٢١٦ . وقد ينسيه الشيطان أيضا أن يتفكر فيما دعا به الى الله ، هل دعاؤه هذا قد مسه ظلم أيا كان هذا الظلم ؟ أنساه الشيطان كذلك أن يتفكر في أن الله ربما يكون قد ادخر له اجابة دعائه لوقت يعلم انه خير من ذلك اليوم الذي دعاه فيه وان في تأخير الاجابة سيكون الخير الكثير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له ، فاما أن يعجل له في الدنيا ، واما أن يؤخر له في الآخرة ، واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل يقول : دعوت ربي فما استجاب لي) رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه . وإياك اياك من أكل الحرام اذا اردت أن يتقبل الله دعاءك وتكون دائما مستجاب الدعوة فلحمك الذي هو منك سينبت منه ، واللحم الذي نبت من حرام تكون النار أولى به ... وانى يستجاب لصاحبه .

الله يحب الداعي الشكور :

ان اكثر الناس يعيشون يومهم فقط ولا يتفكرون ، بل لايتوقعون ماسيؤول اليه حالهم نتيجة لأعمالهم ، بل أن كثيرا منهم يحبون أن يتناسوا ما مر بهم من ضنك وعذاب ، ولا يذكرون أنهم لم يخرجوا من تلك المصائب الا

برحمة من الله وعون ... هل جحدوا أو تناسوا ماكانوا يدعون ؟ ... وكيف كان حالهم حينما كانوا يلجون ويستغيثون ، ثم الآن هم لاهون ، بل عجبا يوقنون ان ماأخرجهم من مصائبهم الا أسباب وخلائق من دون الله ، بل عموا وصموا عن قوله سبحانه وتعالى في سورة فاطر آية / ١٥ : (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**) ، فيارب لا تجعلنا مع هؤلاء القوم الذين نسوا وقنطوا ولم يشكروا لك أو مع الذين وصفتهم في كثير من آيات الذكر الحكيم : (**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون**)الانعام / ٦٣ و ٦٤ ، (**وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه**) يونس / ١٢ ، (**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا**) الاسراء /٦٧ ، (**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**) الروم / ٣٣ (**وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ماكان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا**) الزمر / ٨ (**فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم**) الزمر / ٤٩ ، (**لايسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط**) فصلت / ٤٩ ، (**وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**) فصلت / ٥١ .

الدعاء ينفع الميت :

لقد أوصانا الله عز وجل بالوالدين احسانا ، وقد وردت هذه التوصية في كثير من الآيات بنفس الكلمات ، ففي سورة الانعام آية / ١٥١ والنساء آية / ٣٦ والاسراء / ٢٣ يقول الله تعالى : (**وبالوالدين إحسانا**) ، كذلك في سورة العنكبوت آية/ ٨ ولقمان آية/ ١٤ : (**ووصينا الانسان بوالديه**) .

وما يوصي به الرب يكون أمرا وتكليفا الى العبد ، ولقد جاء بصيغة التوصية ليكون هذا الاحسان نابعا من القلب محببا الى النفس ، كذلك ليأتي هذا العمل ممزوجا بالعاطفة والرحمة .

فعندما يصبح الانسان أبا حينئذ يحس بأن هذه التوصية لها اشعاع من الرحمة والعدل ، واذا كان الاحساس ممكنا في حياتهما .. فكيف يكون الحال بعد مماتهما ؟ وما العمل لاستمرار برهما أو تدارك مافات ؟ ... انه الدعاء وان عمل ابن آدم ينقطع عنه بعد مماته الا من ثلاثة أشياء ، وما الدعاء الا واحد منها .

المعية للداعين الذاكرين والشقاء للمستكبرين الغافلين :

ان معية الله عز وجل تكون من نصيب الذاكرين الداعين ، أما التعب والنصب فيصيب المستكبرين الغافلين ، وما دام الانسان يدعو ربه ويذكره فان الشيطان لايجد اليه سبيلا : (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/ ٣٦ ، (**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**) البقرة / ١٥٢ .

أنواع الدعاء

الاصل ان يكون الدعاء من الناس الى رب الناس ، الا انه عندما خلق الله ادم ومن ورائه ذريته اصبحت الملائكة تدعو الله وتستغفر لذنوب المؤمنين من هؤلاء الناس .

ودعاء الناس يختلف في درجة قبوله وفقا لصلة الانسان بربه ، فكلما قرب العبد من الله كلما كانت استجابته عز وجل أقرب ، فالمؤمن من يدعو دائما لنفسه بالخير من أجل الدنيا والآخرة ، كما أنه يدعو لأهله ووالديه ويدعو لغيره من المسلمين سواء كانوا أحياء أم أمواتا كما في صلاة الجنازة أو بعد دفن الميت مهما طال الزمن ، وقد يكون الدعاء إما بخير فيتقبله الله ؛ أو بشر فلا يجني صاحبه إلا سخط الله عليه .

أما دعاء الأنبياء والرسل فانه يكون مقبولا باذن الله لما له من شفافية وإيمان : (**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له**) الأنبياء ٨٣ و٨٤ : (**ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه**) الأنبياء/ ٧٦ :

(**وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له**) الأنبياء/ ٨٩ و٩٠ .

أفضل الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » . رواه الترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه ، وقد يتساءل سائل : إن الله يدعونا لأن ندعوه وهو البر الرحيم ، فكيف يشغلنا بقراءة القرآن عن دعائه والدعاء عبادة ؟.. والاجابة على ذلك لا تتطلب جهدا فان قارىء القرآن يدعو ربه بخير دعاء وخير الكلمات وفيها جوامع الكلم وما يتصوره انسان وما لم يتصوره من خير وسعادة الدارين ، فكلمات الله أنزلها عطاء ورحمة ، وان خير الدعاء ما علمه لنا قابل الدعاء ، هذا وقد وردت آيات الدعاء في معظم سور القرآن الكريم حتى تلك التي لم ترد فيها فانها تذكرنا بالعذاب او

الجنة فنجد ان قلوبنا قد انخلعت منا تدعو مولاها بما سمعت ورأت خوفا وطمعا ، فما بالك إذن اذا دعا قارىء القرآن الله بكلمات هو علمها لنا ، وأمرنا أن ندعوه بها وهو يقرؤها بين يديه طاهرا عندما لمسه ، وما بالك أيضا في أنه أخذ نفسه إلى ضيافة الرحمن ، وكان حقا على المضيف أن يكرم ضيفه ، وأنت إذا فتحت كتاب الله لوجدت أن الدعاء قد ورد في أول سورة به ، سورة الفاتحة (**إهدنا الصراط المستقيم**) .

فلنسارع إلى الدعاء

لنتعجل إليه من قبل أن يأتينا الموت بغتة ، ولنتخير الأوقات المباركة لنزيد منه متضرعين فيها بخشوع وخضوع ، ويقينا أن الأوقات كلها يستجيب الله فيها لمن يدعوه من عباده ، إلا أن بعضها يكون مفضلا ، والدعاء فيها يزيد العبد تقربا له ، فيتجلى الله بكرمه على من لاذ بحماه .

إن الله يفضل خلقا من كل شيء خلقه ، فهذا الانسان مكرم من بين خلقه في أرضه ، وهذا محمد من بين الرسل والأنبياء ، وذاك جبريل من بين ملائكة كرام : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير**) الحج/٧٥ ، وهناك جنة المأوى من بين جنات النعيم ، كذلك ساعة الجمعة وكذا جوف الليل من بين الساعات : (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا**) السجدة/١٦ ، كذلك يوم عرفة والجمعة من النهار ، كذلك ليلة القدر ، وشهر رمضان من بين الشهور ـ وهذا ما يؤكده ورود آية الدعاء ١٨٦ في سورة البقرة بين آيات الصيام ـ كذلك الدعاء حين الأذان وعند الالتحام في سبيل الله ، وحين تلاوة القرآن الكريم وبعد ختمه ، وبعد كل صلاة مفروضة ، كذلك حين الشرب من زمزم ، وعند مجالس ذكر الله وحين السجود : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم ، مصداقا لقوله عز وجل في سورة العلق آية/١٩ : (**واسجد واقترب**) وفي سورة النجم آية/٦٢ : (**فاسجدوا لله واعبدوا**) ، لأن في السجود تقربا إلى الله ، وما القرب إلا صلة وعبادة ، وما العبادة إلا دعاء .

ثم نقف بين يدي الله تعالى مستقبلين القبلة رافعين أيدينا إليه في خشوع وخضوع مقبلين مقلبين قلوبنا بين رغبة ورهبة بين رجاء وخوف : (**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا**) الأنبياء/٩٠ ، ولنقف بين يديه عز وجل خافضين أصواتنا فهو سميع عليم : (**إذ نادى ربه نداء خفيا**) مريم/٣ ، (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ ، (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول**) الاعراف/٢٠٥ .

وقبل أن ندعوه يجب أن نكون مؤمنين موقنين بقدرته وكرمه . وبأنه

سيقبله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فالله إذا قال للشيء كن فيكون .

ولنبدأ الدعاء بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم نحمده تعالى ونثني عليه ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء » رواه الترمذي عن عبيدة رضي الله عنه .

ويجب ألا ننسى أن نذكر في دعائنا الصلاة على النبي المصطفى حيث قال : « كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

كما لا ننسى أن نبدأ الدعاء ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم نستغفره ونتوب إليه ، ثم ندعوا بما علمنا الله تعالى في كتابه الكريم ، أو بما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**) البقرة/ ٢٨٦ .

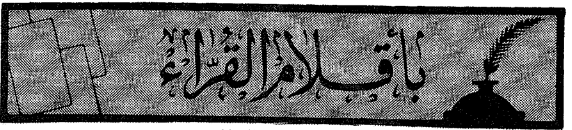
ولندعوه عز وجل باسمائه الحسنى ، ولنكثر الدعاء بالاسم الذي نأمل من الله أن يتجلى علينا بفيض منه ، ولنختر من الأسماء الحسنى الاسم الذي يوافق حالتنا في الدنيا وقت الدعاء ووفقا لظروف معيشتنا ، وما أصبحت عليه نفسيتنا فاذا طلبنا الغنى دعوناه : « ياغني يامغني » وإذا أردنا العزة والكرامة في بعض الأمور دعوناه باسمائه : « يامعز ياعزيز » ، واذا ما رغبنا في الرحمة واللطف دعوناه : « يالطيف يارحيم يارحمن » .

ولنبدأ ما ندعوا به بـ « اللهم ربنا » لان كثيرا من آيات الدعاء في القرآن الكريم بدأت بهذه الكلمات المباركة التي تذكرنا بالعلاقة بين الله والانسان ، ولنستحضر أرواحنا وقلوبنا بين يدي الله ، لأننا بين يدي الله وفي حضرته وفي رحاب ملك الملوك .

ولندعوا ولنلح في الدعاء ولا نمل فقد قال ابن مسعود : كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثا ، ففي هذا تصفية لقلوبنا من الأمراض ، وتخليص لها من فكرة الاعتماد على النفس في البحث عن أسباب وكيفية تحقيق ما ندعوه به ، وحتى يوقن الداعي أن إجابته لدعائه هي مشيئة خالصة لله قد وفقه الله لأن يدعوه بها ليستجيب له .

وأخيرا يجب أن نؤمن على دعائنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا أحدكم فليؤمن على دعاء نفسه » رواه ابن عدى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم ننهيه بما انتهى به دعاء زكريا عليه السلام في سورة آل عمران آية رقم/ ٣٨ : (**إنك سميع الدعاء**) .



الصوم وتربية الصمود

كتب الاستاذ : عبد الغني احمد ناجي يقول :

دأب الناس منذ بدء الخليقة علي التمدح بصفات خاصة تكسب الشخص العزة والمجادة في المجتمع الذي يعيش فيه وربما لا يستطيع الحصر أن يأتي على تلك الصفات .

ولما كان الذي يجذب ويعجب في كل شيء ذروته ومنتهاه ، فاننا لا ندهش إذا وجدنا صفة الصمود أو قوة الارادة تتسنم هرم الصفات التي تكون الشخصية القوية لدى الانسان ، اذ هي الدعامة المتينة التي تسمق فوقها الرجولة الكاملة .

والله سبحانه وتعالى خلق الانسان ضعيفا أمام نزواته وشهواته ، ولكنه أرشده إلى أمضى سلاح يستطيع به التغلب على ضعفه البشري . ووعده أجزل الثواب ان هو أحرز النجاح في استعمال ذلك السلاح الذي لا يتعدى التمرس والتدريب على ضبط النفس ، وكبح جماحها ، ويتجلى ذلك بوضوح في فريضة الصيام التي تلزم المسلم بأن يلجم شهوتي بطنه وفرجه من الفجر الى غروب الشمس ، وهي المدة التي يكون فيها يقظا ، وشهواته متفتحة ، ونزواته حية نشيطة حتى يكون للتدريب ثمرة ، وحتى يتحقق معنى الكبح للنفس ، والالجام للشهوات .

فالانسان الذي يبلغ به الجوع والعطش مشارف الهلاك ثم يمتنع عن الطعام والشراب اتباعا لارشاد ، وانصياعا لتنبيه عمق ايمانه بهما وبأثرهما ـ هو إنسان وصل الى ذروة الصمود ، وقوة الارادة ، والانسان الذي يتأبى في شمم ديني أمام شهوته وهي تحاول أن تميله هو انسان عرف الطريق الى المكانة السامية بعد أن مرن على قيادة نفسه ، وتخلص من أن تقوده نفسه ، والنفس أمارة بالسوء .

ونحن كثيرا ما نقرأ عن فقراء الهند الذين يسيرون على نظام معين في الطعام والشراب والبعد عن مباهج الحياة ليكتسبوا صفاء النفس ، وشفافية الروح بغية الاتيان بالاعاجيب ، فهم بأخذهم النفس بألوان من القسوة وشظف العيش مدة

طويلة تمكنوا من السيطرة عليها سيطرة تامة ، وكأن نزواتهم البشرية غدت ولا حياة فيها ، نذكر ذلك لنشير الى ان الانسان اذا ترك لنفسه العنان في الحياة ، وأشبع رغباتها دون ما ضغط أو إحكام كانت طفولته مستمرة ، وإن أوغل في مراحل الشيخوخة ، ومثله لا يعول عليه ، ولا يصول ابدا في مجال ، ويكون عبئا على من يعيش بين ظهرانيهم ، وأتعس بمجتمع يتكون من أمثاله .

ولما كان هدف الاسلام الأمثل تكوين مجتمع فاضل يتسم بالقوة العادلة ،

والعزة الحكيمة ، والأخوة الرشيدة ، فانه أخذ الفرد ـ وهو اللبنة الأولى في المجتمع ـ بصنوف عديدة من التربية الهادفة الراشدة التي تكون الرجل بكل ما توحي به لفظة الرجل من معان تنداح دائرتها ثم تنحصر في (الصمود وقوة الارادة) .

فكانت فريضة الصيام في الاسلام لأهداف سامية ، وحكم بالغة تجلت بعد التجريب والتدريب .

وفي قمة هذه الأهداف تكون المجتمع الصامد كالطود الراسخ ، وليس ذلك التحليل او التخريج بغريب ، فنحن لا ننكر أن من أهداف الصوم في الاسلام ما يتردد كثيرا على السنة الفقهاء والوعاظ من الحفاظ على الصحة العامة ، فقد أثبته اطباء العصر الحديث ، وهذا مفخرة للاسلام ، وان كان الاسلام ليس في حاجة الى ذلك ـ ومن حمل الأغنياء على مسح دموع البؤساء بالإحسان والمعروف ولكننا نرى ان الاسلام يهدف من وراء كل فريضة يشرعها الى أهداف متفاوتة يكون أسماها وأرقاها ما يمس كيان المجتمع او يتصل بقوة الأمة وسلامتها .

فالاسلام ربما كان الدين الوحيد الذي دعا اتباعه الى أخذ وسائل القوة تجاه أعدائه ، قال تعالى : « .**(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم)** وليس ببعيد ان يكون المراد بالقوة ـ والله أعلم بمراده ـ القوة المعنوية التي تتجلى في الصمود وقوة الارادة ، وعدم التزحزح عن الحق قيد أنملة ، ولو كان في ذلك الموت فهو الشهادة التي يحظى بها الأبرار يشرح ذلك قوله تعالى : « .. **ومن رباط الخيل** » بعد قوله : « .. **من قوة** » فرباط الخيل رمز للسلاح المادي بكل صنوفه وتطوراته عبر حقب التاريخ المديد ، فيتعين أن يكون المراد بالقوة ، القوة المعنوية ، لأن العطف يقتضي المغايرة كما يقول علماء النحو .

ولقد وجد الاسلام الحنيف الحصيف أن أمثل طريقة لتقوية الجماعة معنويا تقوية الفرد أولا ، فمن اللبنات المتينة يتكون البناء الحصين ، لهذا شرع الصوم ، وفرضه على المسلم القادر منذ بلوغه أي دخوله مرحلة الرجولة ، وكأنه يقول لمن ناهز البلوغ : ستدخل مرحلة

شاقة ومشرقة : شاقة بأعبائها ومتطلباتها ، ومشرقة بما يحوطها من هالات المجد والعزة ، إنها مرحلة الرجولة الحقة .

ولما كان الجندي - اي جندي - لا يستطيع استعمال السلاح من فور انخراطه في سلك الجندية الا بعد تمرين طويل وعنيف على استعمال ذلك السلاح المادي - كان كذلك من شارف الرجولة لا يستطيع القيام بما تتطلبه تلك المرحلة من صمود وقوة إرادة - وهما أخص خصائصها - الا بالمراس الطويل ، والتدريب المستمر ، وكانت حلبة ذلك التمرين على استعمال السلاح المعنوي : (**الصمود وقوة الارادة**) - فريضة الصيام التي جعلت المسلم في صموده أمام أعدائه في الحياة - بشرا كانوا أم أزمات وشدائد - يفوق الخيال ، وكأن الاسلام يقول لأتباعه : ستقابلكم في الحياة أخطار وأهوال ، ولن تتخطوا مراحلها الا بالصمود ، وكأنهم تساءلوا : ومن أين لنا به ؟ ، فكان الجواب : مما فرضه الله سبحانه وتعالى عليكم من صيام شهر كل عام .

وبعد .. فلنا - نحن المسلمين - أن نقول في مسامع الدنيا : إننا صائمون .. صامدون تجاه كل قوى الغدر والطغيان ممثلة في الاستعمار وأذنابه .

ضراعة صائم

من قصيدة للأستاذ / عبد الغني احمد زكي

يـأيها الشهر العظيم تحية من مسلمين أتوك بالتوبات
يرجون رب الخلق عفوا واسعا وقبول هذا الصوم والصلوات
يا من يصوم الشهر انت مقرب فادع الاله يفرج الكربات
واحرص على ارضاء ربك دائما فاجف الذنوب ومنكر السوءات
والنفس طهرها وزك ميولها تجد الاله يحطك بالخيرات
لا تخش فوت الرزق ان حظوظنا قد قسمت في اللوح بالميقات
يا رب هذا الشهر صمنا فارعنا والطف بنا يوم الحساب الآتي
واجعل جزاء صيامنا وقيامنا حسن الثواب لديك في الجنات



خطر جديد

ما زلنا نحذر من اساليب التبشير المسيحي ، ومحاولاتهم الخسيسة للنيل من الاسلام والمسلمين .. وها هو الدكتور عمر حسن كاسولي .. تأتينا رسالته من امريكا لتكشف لنا عن وجه قبيح من اوجه التبشير المسيحي .. وهكذا تواصل « الوعي الاسلامي » حملتها المضادة .. آملة ان تجد من اغنياء المسلمن وعلمائهم والغيورين على دينهم الاسلامي الحنيف وقفة في وجه هذا الخطر الجديد ..

يقول الدكتور/عمر حسن كاسولي :

● منذ الحادي عشر من يناير الى الرابع عشر من نفس الشهر ١٩٨٢ ، التقى « جماعة لوزان » المتخصصة في تنصير المسلمين مع اعضاء « هيئة اتباع النصرانية في العالم » و « مجموعة الدراسة الدينية » لمناقشة كيفية اكتساح العالم الاسلامى بالتبشير النصراني .

وقد عقد هذا اللقاء خارج لندن ، وترأسه « ريفراند باتريك شوكديو » الذي عين اخيرا منسقا للوصول الى المسلمين ، وكان من بين الحضور ستة آخرون ، من بينهم « ريفراند دق مكري » مدير معهد صاموال سفيمر بكاليفورنيا ، وعضو بمجموعة لوزان للعمل الاستراتيجي .

● وقد قررت هذه اللجنة ان تطلق على نفسها اسم « مرحبا بكم » وهي تدعو - « لجنة لوزان العالمية للتبشير النصراني »- الى تنصير المسلمين .. واللجنة جادة في ذلك عبر كل انحاء العالم ، وبطرق ونشاطات عديدة ، واولى هذه النشاطات تتمثل في مخطط يهدف الى فتح مراكز بحوث وتدريب في العالم وهي على اهبة فتح مراكز في اوروبا والباكستان والهند الشمالية وافريقيا الفرنكوفونية والشرق الاوسط . اما

المراكز الموجودة فقد اعترف بها كجزء من هذا العمل المشترك « معهد صاموال سفيمر بيزادنا كاليفورنيا ، و « مركز هنري مارتين للتدريب » بلندن ، وبالاضافة الى انشاء سلسلة من المراكز للبحوث والتدريب ، فان المحاضرات الاقليمية المتعلقة بتنصير المسلمين قد خطط لها . . وسيكون التركيز على الاماكن الاكثر كثافة في افريقيا ، واسيا (اي في الاماكن التي تعيش فيها اكثرية المسلمين).

بالاضافة الى تصميم رسالة استعلامية سيتم توزيعها بصورة خاصة على اعضاء اللجنة حتى يكونوا على بينة مما يجري في مختلف البقاع في العالم .

ـ وثمة نتيجة اخرى اسفر عنها هذا اللقاء وهي اعداد مخطط لتنسيق البحوث التي يتم تحقيقها عن المسلمين ، وهذا سيشمل جمع معلومات عن الكثافات السكانية للمجموعات المسلمة ومراقبة الحركات الاسلامية في الوقت الحاضر ، او القيام بطرق تدريسية تجلب المسلمين الى المسيحية (مع تحليلات تبين الافادة من هذه الدراسة) ودراسة الفرص لاختيار الجهات القابلة للاستجابة للتبشير النصراني . وستشجع « مرحبا بكم » استراتيجيات التنمية النصرانية ، وتعميق انواع المصادر الجاهزة على غرار الكتب والتزويد بالادوات الخاصة قصد تسهيل تنصير المسلم .

هذا هو العدو ، وتلك هي مخططاته ، ونكتفي بهذا القدر دون ذكر لعنوان تلك الجمعية ، فليعمل المخلصون لخدمة الاسلام والمسلمين .

حديث باطل

كنا قد نشرنا في عدد رجب - رقم ٢١١ - لسنة ١٤٠٢هـ - مقالا للاستاذ / محمد خطاب عقيلي - تحت عنوان « الاسلام والشباب » وقد استشهد الكاتب في معرض حديثه عن "الشباب والدين والدنيا" بحديث قال فيه : عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس ».. ثم قال الكاتب : أخرجه النسائي ..

ولما كانت « الوعي الاسلامي » تثق في كتابها ، وفي أمانتهم العلمية ، فإنها اعتبرت تخريج الكاتب للحديث تخريجا صحيحا ..

ولكن القارىء الكريم : علي اغا محمد شفيق كتب إلينا يقول عن الحديث المروي عن انس : إنه حديث باطل .. وساق دليل بطلانه حيث قال :

رواه الخطيب في كتاب « تلخيص المتشابه في الرسم » (ج ١٣ ورقة ١٣٦/ ١) من طريق محمد بن هاشم البعلبكي حدثني ابي هاشم بن سعيد عن يزيد بن زياد البصري وكان يسكن صور - عن حميد الطويل عن انس بن مالك مرفوعا من هذا الوجه رواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٨/١٤٣/ ١) وزاد في آخره « ولا تكونوا كلا على الناس » ومن طريق ابن عساكر فقط اورده السيوطي في « الجامع الصغير » وذكر في كتابه « الحاوي للفتاوي » (٢/ ٢٠١) انه رواه الديلمي ايضا من هذا الوجه . وهذا اسناد ضعيف جدا وآفته يزيد هذا وهو الدمشقي ويقال فيه ابن ابي زياد وهو متهم - قال البخاري « منكر الحديث » وكذا قال ابو حاتم ، وقال مرة « ضعيف الحديث » كأن حديثه موضوع ، وقد جزم ابو حاتم في حديث آخر ليزيد هذا انه موضوع وقد اشتهر عن البخاري انه قال « كل من قلت فيه : منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، نقله الذهبي في « الميزان » (١/ ٥) فالحديث بهذا الاسناد واه جدا ، والحديث قد رواه ابن ابي حاتم في « العلل » (٢/ ١٢٤/ ١٢٥) من طريق الوحاظي عن يزيد بن زياد الدمشقي به وقال (وقال ابي : هذا حديث باطل) . انتهى كلام الشيخ المحدث محمد نصر الدين الالباني .

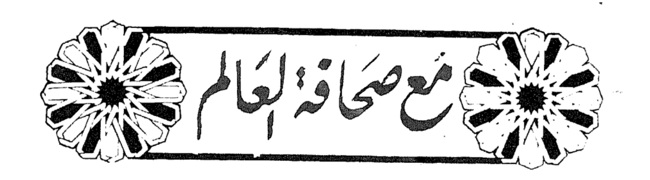
هذا والوعي الاسلامي في انتظار رد او تعليق الاستاذ عقيلي على ما ذكره الأخ القارىء علي شفيق . مع تقديرنا لمكانة الكاتب العلمية .

خطأ مطبعي

وقع خطأ غير مقصود في موضوع « تفسير سورة الحشر (٢) » للاستاذ محمد عزة دروزة - بعدد جمادي الآخرة ١٤٠٢هـ - رقم ٢١٠ - حيث وردت الآية رقم « ١٢ » من سورة الحشر بهذا النص : (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون).

وصحة الآية الكريمة : **(لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولُنّ الأدبار ثم لا ينصرون)**.

ورد بذلك خطاب القارىء الشقيري عبد الرفيع .. من الدار البيضاء - بالمغرب - مع الشكر له ، واسفنا لوقوع هذا الخطأ المطبعي .



اقتراح برلماني بانشاء هيئة للدعوة الاسلامية

مهمة الهيئة : تقديم العون المادي للمسلمين ومواجهة حملات التبشير وتشجيع الاستثمارات في المجتمعات الاسلامية

قدم النواب السادة جاسم الخرافي وعيسى ماجد الشاهين وخالد السلطان وحمود الرومي مشروع قانون بشأن انشاء هيئة للدعوة الاسلامية . وقد جاء بالمشروع ما يلي :

- وافق مجلس الامة على القانون الاتي نصه ، وقد صدقنا عليه واصدرناه .

مادة اولى

تنشأ هيئة عامة ذات شخصية معنوية تسمى « الهيئة العامة للدعوة الاسلامية » تخضع لاشراف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية .

مادة ثانية

تتولى تلك الهيئة خارج النطاق الجغرافي لدولة الكويت ممارسة الاختصاصات التالية :

ا ـ الدعوة الى الاسلام وحض غير المسلمين على اعتناقه بالوسائل المناسبة لذلك .

ب ـ اقرار وتنفيذ الخطط والمشروعات التي تهدف الى التعريف بالاسلام ونشر تعاليمه والرد على خصومه .

ج ـ تقديم العون للمسلمين من خلال المشاريع المتنوعة في مجالات اقامة وتهيئة دور العبادة الاسلامية واقامة المدارس والمستشفيات ورعاية الانشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

د ـ توفير الوسائل المناسبة لنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة خاصة لدى المسلمين الذين تتطلب اوضاعهم ذلك .
هـ ـ تقديم العون المادي لمن يحتاج من المسلمين وخاصة في حالة التعرض لكوارث او عدوان او اضهاد .
و ـ تقديم اوجه العون والرعاية المناسبين للاقليات الاسلامية .
ز ـ مواجهة حملات التبشير التي قد تتعرض لها بعض الجماعات الاسلامية .
ح ـ اجراء الدراسات والبحوث التي تستهدف تشجيع الاستثمارات الكويتية في المجتمعات والتجمعات الاسلامية للعمل على تنمية اقتصادياتها . وتقديم التوصيات المناسبة بذلك للجهات المعنية في الدولة .

مادة ثالثة

يكون للهيئة مجلس ادارة برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وعضوية كل من :
١ ـ مدير عام الهيئة
٢ ـ ممثلين بدرجة وكيل وزارة مساعد على الاقل لكل من
ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .
ـ وزارة التربية.
ـ وزارة الصحة العامة .

ويصدر بتعيينهم بناء على ترشيح الجهات التي يمثلونها وعرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية قرار من مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ما لم يفقدوا صفاتهم قبل ذلك .
٣ ـ أربعة من ذوي الخبرة والكفاءة من المهتمين بشؤون الدعوة الاسلامية ممن لا يتولون اي وظيفة عامة يصدر بتعيينهم قرار من مجلس الوزراء بناء على ترشيح وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد لمدتين مماثلتين
ويختار مجلس الادارة من بين اعضائه نائبا للرئيس .
ولمجلس الادارة ان يدعو لحضور جلساته من يراه من المختصين دون ان يكون له صوت معدود .

مادة رابعة

يختص مجلس الادارة باقرار السياسة العامة للهيئة والاشراف على تنفيذها وله على الاخص :
ا ـ اقرار خطط العمل والمشروعات التي تتضمنها هذه الخطط .
ب ـ النظر في مشروع الميزانية والحساب الختامي واقرارها قبل تقديمها للجهات المختصة .
ج ـ الموافقة على التقرير السنوي العام عن اعمال الهيئة .
د ـ اقتراح القوانين واللوائح والقرارات المتعلقة بمجالات عمل الهيئة وابداء الرأي

فيما يقترح من مشروعات تقدم في هذا الشأن .
هـ ـ اقرار نظم وقواعد قبول الهبات والتبرعات .
و ـ اقرار فتح مكاتب وفروع للهيئة في الخارج .
ز ـ تنظيم عمل مجلس الادارة من حيث مدة العضوية فيه وحالات سقوطها ونظام العمل به واجراءات ومواعيد اجتماعاته والاغلبية اللازمة لصحة انعقاده ولاصدار قراراته والاحكام المتعلقة بنفاذ هذه القرارات .
ح ـ اقرار تنظيمات الهيئة ونظمها المالية والادارية .
ط ـ وضع لائحة لشؤون العاملين في الهيئة تحدد امورهم الوظيفية بما في ذلك مرتباتهم وعلاواتهم وترقياتهم ومكافآتهم وتأديبهم .
ي ـ اي امور يرى رئيس مجلس او مدير الهيئة عرضها عليه .

مادة خامسة

يتولى ادارة الهيئة مدير عام ويجوز ان يكون له نائب او اكثر ، ويصدر بتعيينهم وتحديد مخصصاتهم مرسوم بناء على عرض وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . ويختار الوزير المشار اليه في حالة غياب المدير احد نوابه ليحل محله في ممارسة سلطاته .

مادة سادسة

يمثل الهيئة في علاقتها بالغير وامام القضاء مديرها العام ويكون لمن يوكلهم من موظفي الهيئة او غيرهم حق المرافعة عنها امام المحاكم .

مادة سابعة

يكون للهيئة مركز رئيسي في الكويت ويجوز لها ان تنشىء فروعا او مكاتب لها في الخارج .

مادة ثامنة

تكون للهيئة ميزانية عامة ملحقة وتبدأ السنة المالية للهيئة مع بداية السنة المالية للدولة وتنتهي معها ويستثنى من ذلك السنة المالية الاولى فتبدأ من تاريخ العمل بهذا القانون وتنتهي مع نهاية السنة المالية للدولة في نفس العام المالي .

مادة تاسعة

تتكون الموارد المالية للهيئة مما يخصص لها في ميزانية الدولة سنويا ومما تتلقاه من هبات وتبرعات .

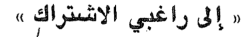
مادة عاشرة

لا تخضع اعمال الهيئة ولا تصرفاتها المالية لاحكام قانون المناقصات العامة ولا للرقابة المسبقة لديوان المحاسبة .

مادة حادية عشرة

على رئيس مجلس الوزراء ـ والوزراء ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

عن الصحافة الكويتية



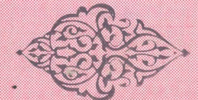
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ